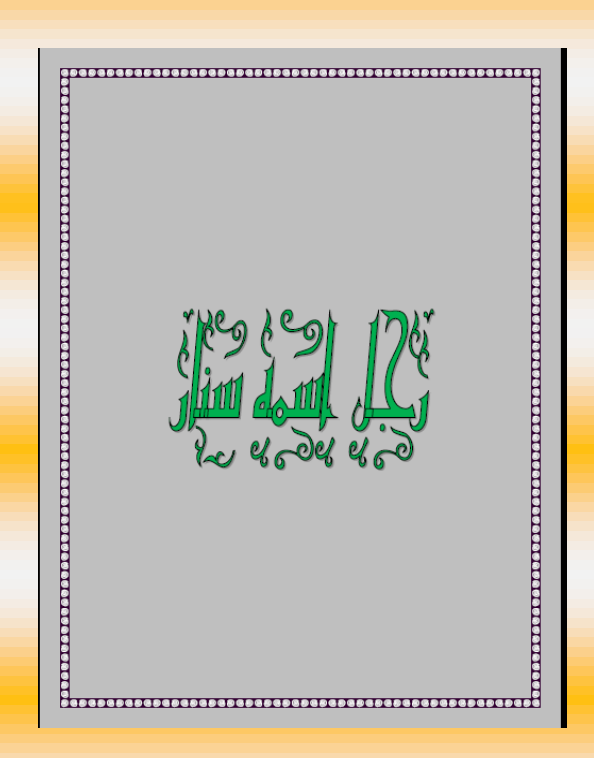





# رجل اسمه




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم



بدأت الجريمة في حانة تركية

وكمل القتل في حفلة رأس العام أمام الفندق

مخدرات .. سرقة سيارات .. تهريب .. العصابات

الضابط شقيق المقتول مصر على معرفة الجاني

فكانت هذه القصة رجل اسمه سنار




٨


التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



## حادث في إستنبول

منذ دقائق فقط دخل رباح حمدي البيت الذي يقطنه في حي ابن نصير ـ على اسم القائد المسلم الفاتح لبلاد الأندلس موسى بن نصير ـ فقد دخل البيت محييا أهل البيت ـ فالسيد رباح ضابط كبير في جهاز الشرطة ـ وبعد الترحيب بالزوج العائد من عمله نهضت الزوجة نحو المطبخ لتسخن طعام العشاء لزوجها الذي ألقى نفسه على إحدى الأرائك في صالة البيت مريحا لبدنه، ولم يخلع ملابس العمل بعد ، فقد كان يبدو للأسرة أنه مرهق ، ولم تكد تختفي الزوجة في المطبخ حتى رن جرس الهاتف في صالون البيت ، فقام جلال ابن الضابط رباح نحوه ، وكان رباح الممدد على الأريكة يلتفت إليه ، وهو يحدث نفسه قائلا : ربنا يستر .. أخشى أن تكون مهمة عاجلة.

فالضابط في الأمن عليه أن يلبي نداء الإدارة في كل حين ، رفع جلال الهاتف وقال بصوت مرتفع : نعم .. أهلا عمي .. نعم موجود .

اعتدل رباح على أريكته جالسا وهمس : عمك .. ماذا يريد هذا المساء ؟!

حرك جلال السماعة بيده كأنه يقول : لا أدري !

نهض رباح متثاقلا ، واتجه لمكان الهاتف، وتناول السماعة من يد جلال وهو يقول : آ .. السلام عليكم .

واستمع قليلا ثم علا صوته مندهشا : ماذا ؟! سنار أصيب بحادث نار .. لا إله إلا الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

كان يردد هذه العبارات وهو ما زال يستمع لأخيه ثم قال : سأكون عندكم بعد قليل .. أنا قادم بعون الله .

ووضع السماعة وكانت الزوجة تقف على باب المطبخ تنظر إليه ، وقد رأت انزعاجه وتوتره ، وكذلك باقي أفراد الأسرة شعروا بالقلق ، فقالت أم جلال باضطراب وخوف : ما الأمر ؟!.. من الذي أصيب ؟ سنار .. أليس هو في تركيا ؟!

فقال رباح بحيرة : سنار عمكم الصغير تعرض لحادث قتل في تركيا .. وسكت لحظة ثم تابع قائلا : اتصل بهم جبران صديق سنار الحميم وابن عمنا سعدي .. وأخبرهم بذلك الخبر .. وسأذهب الآن لبيت الوالد .. جدكم حمدي .. وأخي أبو عاطف هو الذي كان يتحدث معي .. هل تذهبين معي يا أم جلال ؟

فردت الزوجة : والطعام ! .. كل قبل أن تذهب .

قال : لا وقت للأكل ..هيا البسي .

مشت إلى حجرتها لتلبس ملابس الخروج ، وانطلق رباح لسيارته ـ فهو كما تعلمون لم يخلع بعد ثياب العمل ـ وشغل محركها منتظرا قرينته ، ولم يطل الانتظار ، وجلست أم جلال بجواره ، وأسرع الرجل بها نحو بيت والده حمدي ، وهناك وجد الأخوة وبعض الأقارب جالسين يتحدثون حول الحادث الخطير ، وماذا يفعلون ؟

فسلم ثم صافح الجميع ، ودخلت زوجته حيث النساء أيضا يتحدثن عن أسباب وملابسات الحادث ، ولما استقر رباح على أحد الكراسي علم منهم أن جبران اتصل بهم ، وأخبرهم أن سنارا تعرض لإطلاق نار من مسدس في مقهى في وسط إسطنبول ، وهو مصاب ، وقد نقل لأحد المشافي التركية .. ولم يتحدث إليهم بالتفاصيل.. ثم عاد وتحدث إليهم عن وضع سنار الصحي .. وذكر لهم أن الحادث قد جرى في أحد ملاهي المدينة الليلية حيث كانا يسهران .. وقد اعتدى عليه شخص بالرصاص ، وحاول الهرب ولكن أمن الملهى تمكن من السيطرة على الموقف والقبض على المجرم .. وهو بين يدي البوليس التركي.

وأخذ القوم يتحدثون بعد سماع هذه التفاصيل عدة مرات ، ويتشاورون حول الخطوة المناسبة إزاء هذه الجريمة ، ولم يعرفوا سببها من فم جبران ، وفهم بعضهم من كلام جبران أن الحادث عرضي ، وبعضهم ذكر أنه حادث غامض ، فيه لبس غير واضح .

وبعد عرض الآراء والاقتراحات اتفقوا على أن يذهب بعض أفراد العائلة لتركيا لمتابعة

الوضع الصحي لسنار والتحقيق الشرطي ، ومعرفة دوافع هذا الاعتداء الغادر ، فتقرر أن يسافر والد سنار وأخ محامي لسنار وقريب لهم له معرفة في تلك البلاد ، واتفقوا على أن يلحق بهم رباح إذا احتاجوا إليه وعليه أن يحصل على تصريح مغادرة ؛ ليكون مستعدا للسفر في أي لحظة ، فهو رجل شرطة محكوم بعمله ووظيفته .

قبيل الفجر بوقت يسير رجع رباح وأهله للبيت ، وكان الرجل مشغول الفكر بهذا الحادث يشرق ويغرب فيه ، وبعقليته الشرطية يتسأل عن سبب وحقيقة هذا الاعتداء ، وهل هو حادث عرضي أم فعل مدبر ومتعمد ؟!

أخوه سنار يعرف تركيا أو إسطنبول أكثر من بلده .. فهو كثير السفر والتردد إليها .. فمنذ درس فيها الجامعة ، وتخرج من إحدى جامعاتها وهو يكثر السفر إليها .. فلا يكاد يمضي فصل إلا ويسافر إليها ، ومن كثرة تعلقه بها وحديثه عنها كان يرون أنه لسوف يتزوج فتاة من أهلها.. وهو قد تخرج مهندسا من جامعاتها.. ومع هذه الشهادة المهمة لم يعمل في الهندسة ولا يوما واحدا .. عمل في التجارة .. وخاصة تجارة المواد الغذائية المستوردة من تركيا على الأغلب .. فأنشأ عددا من المتاجر الكبيرة في مناطق العاصمة وأطرافها.. وهي تدر عليه دخلا كبيرا .. وربما يكون هو أكثر إخوته مالا وثروة .. مع أنه أصغرهم .. وهو اليوم بلغ الأربعين سنة ، ومع ذلك لم يتزوج إلا قبل سنتين من فتاة لم ترق لعائلته ، ولم يتقبلوها بالقبول الحسن .

هذا كان يدور في ذهن رباح وهو عائد من بيت والده بعد سماعه خبر الاعتداء على أخيه في إحدى حانات إسطنبول ..

كان يرى أن حياة أخيه الصغير غامضة ومقلقة ، رغم هذا الشعور الغامض كان يراه ناجحا ومتقدما على أقرانه ، وكان قد تنبأ له بالفشل عندما اشتغل بالتجارة وترك الهندسة .. ولكنه خيب تخمينه وأصبح رجلا معدودا بين التجار الكبار .. حتى شراكته لابن عمهم جبران كانت غريبة ومريبة .. ولكن الأيام أثبتت خطأه نحوهما .. فهما

صديقان شريكان منذ رجعا من رحلة الدراسة في بلاد الترك.

وما زال رباح بالرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على تجارتها يرى أن حياة أخيه وابن عمه جبران يلفها الغموض والحيرة ، وإنها تحتوي على خطأ غامض غير واضح.. إنه إحساس موحش قد لازمه منذ سنوات وسنوات .. والكلام حوله يثير اللغط والحسد من قبل أفراد العائلة الكبيرة ويتهمونه بالغيرة من نجاح أخيه وابن عمه .. فيقف حائرا بين الإقدام والصمت .. ولكن هذا الحادث الغريب بالنسبة لرباح جدد تلك الأفكار التي كانت تراوده عن حياة أخيه سنار وابن عمه جبران سعدي .

يتذكر رباح .. ما من يوم طلب منه أخوه أو ابن عمه جبران خدمة .. مساعدة لدى دائرة حكومية أو مؤسسة .. ولم يحتاجوه يوما في معاملة جمركية أو ضريبية .. فهما ملتزمان بدفع الضرائب أو أي جمارك تلزم ما يستوردانه .. فهما ملتزمان بالقانون، ولا يذكر أن سجلت عليهما قضية تهرب ضريبي أو جمركي

كان هذا الحادث المفاجئ قد أيقظ كثيرا من الهواجس في نفس رباح .. محاولة قتل في ملهى ليلي .. فسنار معروف في الأسرة أنه صاحب لهو ولعب وسهر ماجن .. فلما وصلا البيت وصف السيارة في موقعها المعتاد ، وأطفأ محركها ونزلا منها قالت زوجته : طول الطريق وأنت صامت .. ومن عادتك الكلام الكثير .. يبدو أنكم صدمتم بالخبر !

نظر إلى عينيها وقال : فعلا صدمنا بالخبر .. محاولة الاغتيال أمر ليس بالهين يا عزيزتي .. ومكان الحادث مزعج .. لا يسرنا يوما أن يموت أحدنا في خمارة أو نادي ليلي أو حانة .. هذا خزي لنا .

فقالت : وهل ذهاب سنار للملهى شيء غريب ؟ .. فهو هنا لا تفوته سهرة وحفلة في الملاهي والمهرجانات .. ثم أكدت : لا أظن أنه تفوته ليلة في فنادق السهر والطرب .

قال ممتعضا: صحيح قولك .. وهذا أمر لا يشرف في نظري .. وكم نصحت له بترك ذلك أو تخفيف هذا النمط من العيش ؟ .. أمر سيء فعلا أن يهلك المسلم في ملهى أو حانة أو

حتى مقهى .. فكيف إن قتل في ملهى ؟! والأخطر في قضيتنا ولماذا يقتل سنار الرجل الثري ؟!

قالت وهما يجلسان في صالة البيت : أخوك موفق .. وقد استفاد من علاقته برجال الترك منذ أيام الجامعة ، وعمل معهم علاقات جيدة قبل عودته للبلد .

قال بخيال تذكره : تركيا زرتها أكثر من مرة .. هي بلاد جميلة وبلاد عظيمة .. ولها تاريخ عريق وحضارة .. السياحة هناك ممتعة بين القصور والمساجد .. وسنار يتردد عليها كثيرا وله أصدقاء كثر هناك حياة أخي فيها غموض لا أدري لماذا يراودني هذا الإحساس ؟!

قالت: لا.. لا .. إنما هو نجاح وتوفيق الأخ الأصغر .. لا تدع الحسد يدخل قلبك .

قال مستغربا : الحسد ! .. هل لأنه أصغر منا ومعه مال أكثر منا أحسده ؟ .. لا أعتقد أن في قلبي حسدا لأخي .. إنما هو قلق وخوف .. أأحسده من أجل المال ؟ لماذا ؟ ها نحن نملك بيتا واسعا .. وسيارة .. وراتبا ومنصبا .. وزوجة .. وأولادا .. ولما نرحل عن هذه الدنيا سنترك كل هذه الأشياء .. لا أعتقد أن هذا الحسد في نفسي لأخي .. صحيح أن علاقتنا الاجتماعية معه فاترة ضعيفة ؛ لكنه هو السبب .. وامرأته علاقتها معنا أيضا باردة للغاية .. لا تحب اللقاء بنا .. ربما لأننا لم نره الزواج المناسب بالنسبة للعائلة .. ولكننا استسلمنا لرغبته في النهاية .. وحاولنا التودد إليهم ، وأنت حاولت مثلنا وكان الفتور والصد .. وتركنا تحسن الحال للزمن .. وحياتنا الحمد لله مستورة .. لا يمكن أن أحسد أخي لثروته الكبيرة .

قالت وهي تنهض : أرجو ذلك .. فالمال خير وشر .

قال وهو ينهض واقفا أيضا : إنما أموالكم وأولادكم فتنة .

قالت : وهل أصدق من الله حديثا ؟!

قال: بالتأكيد لا .. نسال الله السلامة لأخي سنار .. وأن يكون الأمر عرضا وأن يشفيه الله .. قد علمنا الليلة أن زوجته حامل .

قالت : ألم تكن تعلم ؟

رد : الليلة فقط علمت .

قالت : من شهر أخبرتنا أمك .. هو أنت يا أبا جلال مهتم بأخبار العائلة !

ضحك وأجاب : صدقي أنني مهتم بكم جميعا ، وأحب أن أسمع كل أخباركم ؛ ولكن طبيعة العمل تظهر لكم أنني مشغول به عنكم .. عليكم أن تلتمسوا لي الأعذار دائما .



ارتفع رنين جرس الهاتف عصرا في مكتب الضابط الشرطي رباح ، فلما رفع السماعة سمع مأمور المقسم في الدائرة يقول : مكالمة خارجية يا سيادة المقدم .

قال : هات يا منذر !.. لابد أنها من تركيا .

ثم سمع صوت أخيه فارس يحييه فرد عليه التحية وقال : آ .. ما الأخبار ؟ الأمر خطير ! وضعه الصحي صعب.. لا يمكن نقله للبلد.. الأطباء لا يرون خطرا على حياته بشكل عام .. جبران محبوس على ذمة التحقيق .. القضية يبدو أنها معقدة وغامضة .. سأعمل على السفر إليكم .. مع السلامة .

وضع المسماع بهدوء وقال متنهدا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

فالتفت إليه أحد زملائه في المكتب قائلا : هل من شيء يا أبا جلال ؟

تطلع لزميله حسام وقال : أخي سنار

ـ أخوك الصغير على ما أذكر .. التاجر الناجح .. ماله ؟!

ـ نعم ، فأنت تعرفه .. فيا صديقي .. علمنا ليلة أمس أنه تعرض لإطلاق نار في تركيا .. وذهب الوالد وأخي المحامي فارس لمعرفة الخبر ، ومحاولة إرجاعه إلى هنا للعلاج .

ـ خبر مخيف .. كيف صحته الآن ؟

ـ مستقرة ، ولكن من الصعب نقله .

ـ شفاه الله ..

ـ ولما وصل الأهل إلى هناك ، وجدوا القضية معقدة بعض الشيء .. فقد كان هو وابن عمي جبران شريكه في تجارته معا ، وجدوا ابن عمنا موقوفا على ذمة التحقيق .. فهو بين يدي البوليس التركي .. ولديهم رغبة بالسفر إليهم لعلي أستطيع فعل شيء .. وأنت تعلم أن بين يدي هذه الأيام عددا من القضايا .. وهي قضايا خطيرة ومهمة .. وهناك دورة الاتصالات الخاصة .. ويبدو من كلام شقيقي فارس أن لديهم قصة كبيرة .. والبوليس

يجري تحقيقات مهمة .. ولا أدري كم من الوقت أحتاج لهذه الرحلة .. ولابد من السفر.
فقال الضابط حسام : عليك بالعميد إبراهيم سالم له أصدقاء في تركيا ومعارف .. تحدث معه وخذ توصية منه .

ـ جميل هذا منك أيها الزميل !

ضرب على رقم المقسم ( جهاز الاتصالات الأرضية ) وقال : أخ منذر صلني بالعميد إبراهيم سالم .. معك المقدم رباح .

تحدث المقدم مع العميد إبراهيم حول رحلة تركيا بضع دقائق ، ثم ترك السماعة وهو يقول : أنا قادم إليك حضرة العميد .

وخرج من الدائرة لمقابلة العميد إبراهيم في أكاديمية الأمن .. ولما اجتمعا شرح له قصة محاولة اغتيال شقيقه الأصغر سنار، وأنه بحاجة للسفر ، وتوصية منه لزملائه الأتراك حيث شاركهم في دورات دولية ، فزوده العميد بأسماء أشخاص وختم كلامه قائلا : كن على اتصال معي إذا تأزمت الأمور .

فشكره رباح الشكر الجزيل، وغادره لدائرته حيث دخل على مكتب مدير
الدائرة واستأذنه بإجازة طارئة بعد أن ذكر له قصة تعرض أخيه لرصاص في حانة من حانات إسطنبول ودخوله المستشفى .

وفي الليل كان رباح يركب أول طائرة مغادرة لعاصمة تركيا أنقرة ، وبعد ساعتين كان ينزل في أحد فنادق العاصمة التركية في قلب الأناضول التركي .. ليسعى إلى مقابلة بعض كبار الضباط الأتراك ضباط الشرطة الذين زود بأسمائهم من قبل العميد إبراهيم قبل الذهاب لإسطنبول في مضيق البوسفور



أنقرة هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول ، تقع أنقرة على هضبة الأناضول بوسط تركيا، كما يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٩٣٨ مترا ، ونظرا لأهميتها التجارية والصناعية، ولموقعها الجغرافي فقد اتخذتها الحكومات التركية المتعاقبة عاصمة سياسية لها، ومقرا للوزارات والمكاتب الحكومية والبعثات الأجنبية.

يعود تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائي الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس، ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان ، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ، ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر، ومنذ عام ١٩٢٣م أعلن مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الجمهورية أنقرة عاصمة لتلك الجمهورية .

يفضل الزوار الأجانب إلى أنقرة زيارة المحلات التجارية القديمة في يوكوشي شيكليكشيلار (درب النساجون) بالقرب من حي اولوس ، حيث يمكن العثور على أشياء لا تعد ولا تحصى بدءا من الأقمشة التقليدية، والسجاد المنسوج يدويا ، والمنتجات الجلدية بأسعار منافسة ، يحظى باكيرسيلار شيرشيسي ( بازار النحاسون) بشعبية خاصة إذ يباع فيه العديد من العناصر المثيرة للاهتمام، وليس فقط من النحاس ، إذ يمكن العثور هناك على المجوهرات والسجاد والملابس والتحف والتطريز ، وبالقرب من بوابة القلعة، هناك العديد من المحلات التجارية التي تبيع مجموعات ضخمة وجديدة من التوابل والفواكه المجففة، والمكسرات، وغيرها من المنتجات.

أما مناطق التسوق الحديثة فتتواجد في كيزيلاى، أو في شارع حلمي تونالي، بما في ذلك مركز التسوق كاروم الحديث الذي سمي تيمنا بمستعمرات التجار الآشورية القديمة التي تم تأسيسها في وسط الأناضول في بداية الألف الثاني ما قبل الميلاد والذي يقع نحو نهاية الشارع ، وفي حي برج آتاكول في كانكايا الذي يقع على أعلى نقطة والذي يطل على

مناظر رائعة على المدينة بأكملها، وفيه أيضا مطعم دوار في الأعلى الذي يسمح بالتمتع ببانوراما كاملة ، والجدير ذكره أن رمز سوق أرمادا هو المرساة، وهناك نصب لمرساة كبيرة في مدخله، والتي هي إشارة إلى الانكيرا الاسم اليوناني القديم للمدينة ، التي تعني مرساة، وبالمثل فإن نصب المرساة يرتبط أيضا مع اسم الإسبانية "أرمادا" والذي يعني الأسطول البحري.

تم بناء ضريح كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية بين ١٩٤٤ ـ ١٩٥٣ على مساحة تقدر بـ ٧٥٠،٠٠٠ مترا مربعا ، والمتحف باسم كمال أتاتورك مفتوح يوميا ، ما عدا الاثنين ، خلال فصل الصيف، وهناك الضوء والصوت عرض في المساء .

يعود تاريخ بناء قلعة أنقرة إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة ، وبداخلها توجد قرية مزدحمة جدا بالسكان منذ القدم ، وتم تشييد جدران القلعة على يد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني .

كما يعود تاريخ بعض المباني في القلعة إلى القرن_السابع الميلادي ، قد وضعت أسس القلعة من قبل أهل غلاطية على نتوء بارز الحمم ، والانتهاء من قبل الرومان ، ثم البيزنطيين والسلاجقة الذين قاموا بالترميم والإضافات، وهي تعتبر أقدم جزء من أنقرة ، ويمكن رؤية أمثلة عديدة من الهندسة التقليدية داخل جدرانها .

ومن الآثار المعروفة لزائر أنقرة السياحي المسرح الروماني يمكنك رؤية بقايا المسرح والكواليس من خارج القلعة ، وتعرض التماثيل الرومانية التي تم العثور عليها في هذا المكان في متحف الحضارات الأناضولية .

وفيها معبد أغسطس روما ومن السهولة العثور على المعبد ، الذي بني بأسلوب أنيق، في حي أولوس القديم من أنقرة.

وتجد فيها الحمام الروماني الذي يتميز بكل الصفات النموذجية للحمام الروماني الكلاسيكي الذي يحتوي على غرفة المياه الباردة ، وغرفة المياه الدافئة ، وغرفة المياه

الساخنة الذي تم بناؤه في عهد الإمبراطور كركلا في القرن الثالث الميلادي على شرف أسقليبيوس ، ويقع في منطقة اولوس أنقرة في قلب أنقرة، في الطابق السفلي وما زال قائما حتى اليوم.

ومما يشاهده السائح لأنقرة عمود جوليان أو جوليانوس الموجود في منطقة اولوس ، الذي أقيم على شرف الإمبراطور الروماني جوليان لدى زيارته لحي أوليوس في أنكيرا عام ٣٦٢.

ويمكنك روية نصب النصر الذي شيد في عام ١٩٢٧ في ساحة ظافر في حي سيهيي ، ويمثل كمال أتاتورك مرتديا الزي العسكري ، وكذلك النصب التذكاري للأمن والثقة في المستقبل ، وشيد هذا النصب في حديقة بالقرب من ميدان كيزيلاى جوفن في عام ١٩٣٥ ، ويحمل مشورة قدمها أتاتورك لشعبه وتقول: " أيها الأتراك، كونوا فخورين، واعملوا بجد، وآمنوا بأنفسكم" ، واستعمل النصب على خلفية الورقة النقدية من فئة خمس ليرات تركية جديدة من عام ١٩٣٧ وحتى ١٩٥٢ عام وعلى الأوراق النقدية من فئة ١٠٠٠ ليرة من عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٦ .

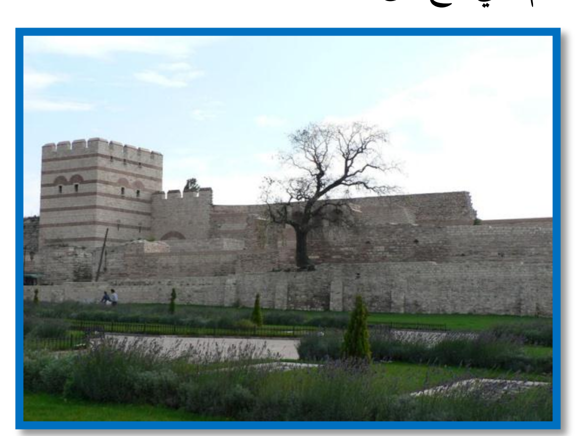
وهناك نصب الهاتيون الذي بني في سبعينيات القرن العشرين في ساحة سيهيا والذي يرمز لآلهة الهاتيون ، وكذكرى لأول حضارات الأناضول ، وقد استخدم الرمز المستمد من هذا النصب كشعار للمدينة لفترة طويلة .



قضى المقدم رباح نهار اليوم التالي كله في السعي للقاء الضباط أصدقاء العميد إبراهيم

فاضطر للمبيت ليلة أخرى في فندق أنقرة .. وذهب في المساء في جولة في أحياء المدينة ، وشاهد بعض الآثار المشهورة في المدينة ، وعاد لفندقه بعد منتصف الليل .. ثم ظهرا انتقل بالطائرة إلى مدينة إسطنبول العاصمة التاريخية لتركيا العثمانية .

إسطنبول المعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِيْنِيَّة والأسِتانة وإسلامبول ؛ هي أكبر المدن في تركيا ، وخامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان ، حيث يسكنها ١٢.٨ ملايين نسمة ، تُعد إسطنبول أيضا مدينة كبرى ، ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي ، تغطي مساحة المدينة ٣٩ مقاطعة وجميعها تُشكل محافظة إسطنبول ، تقع إسطنبول على مضيق البوسفور ، وتطوق المرفأ الطبيعي المعروف باسم القرن الذهبي ، الواقع في شمال غرب البلاد ، تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم تراقيا ، والجانب الآسيوي أو الأناضول ، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين.



كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل ، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية ( ٣٣٠ ـ ٣٩٥) ، والإمبراطورية البيزنطية منذ عام ٣٩٥ حتى سنة ١٢٠٤ ، ثم الإمبراطورية اللاتينية سنة ١٢٦١ حتى سنة ١٤٥٣ ، والدولة العثمانية من سنة ١٤٥٣ـ ١٩٢٢ ، وفي معظم هذه المراحل أحيطت المدينة بهالة من القداسة ، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول

المجاورة ، فكانت مدينة مهمة للنصارى بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين النصراني ، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة الخلافة الإسلامية من عام ١٥١٧ حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤.

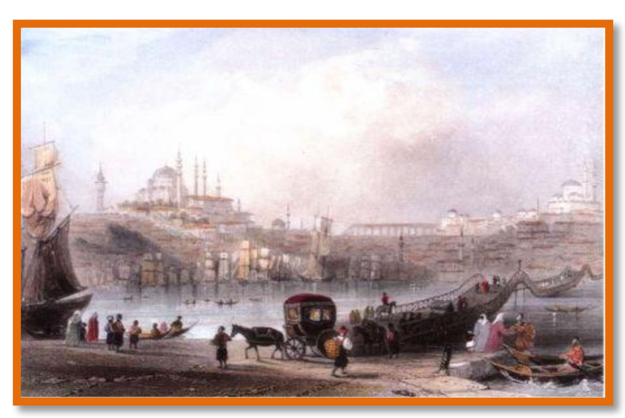
مبنى آيا صوفيا شُيّد هذا المبنى بالأساس ليكون كاتدرائية البطريركية الأرثوذكسية وعند الفتح الإسلامي تحوّل إلى مسجد ، وعند قيام الجمهورية التركية أصبح متحفًا.

ومن معالمها مسجد السلطان أحمد ، بُني هذا المسجد في الفترة الممتدة بين عاميّ ١٦٠٩ و ١٦١٦، خلال عهد السلطان أحمد الأول يعرف أيضًا باسم المسجد الأزرق بسبب البلاط الأزرق الذي يُزين داخله ، وهو كمعظم المساجد العثمانية يحوي قبر السلطان الذي أسسه بالإضافة لمدرسة وتكية { زاوية الدراويش والطعام } ، كان هذا المسجد يظهر على خلفية العملة الورقية التركية من فئة ٥٠٠ ليرة،التي وُضعت بالتداول من سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٧٦ .

ومن معالمها قصر الباب العالي وهو يحكي تاريخا مهما عن آل عثمان ، كان هذا القصر المقر الرئيسي للسلاطين العثمانيين طيلة ما يُقارب من ٤٠٠ سنة ، من عام ١٤٦٥ حتى ١٨٥٦ابتدئ ببناء القصر عام ١٤٥٩ بأمر من السلطان محمد الفاتح بعد غزو القسطنطينية ، يجذب القصر اليوم أعدادًا كبيرة من السياح، وهو يحوي بعض الآثار المقدسة الإسلامية، مثل عباءة النبي محمد ﷺ وسيفه ، يُصنف القصر على أنه من ضمن المعالم المنتمية للمناطق التاريخية في إسطنبول، وقد أصبح موقعًا للتراث العالمي في سنة ١٩٨٥، ووُصف على أنه من أفضل الأمثلة على التنوع الثقافي في الدولة العثمانية.

وهناك الجسر التاريخي جسر البوسفور يُسمى هذا الجسر أيضًا بجسر البوسفور الأول ، وهو أحد الجسرين الذين يصلان أوروبا بآسيا ، يبلغ طوله ١٥١٠مترا (٤٩٥٤ قدمًا) ويصل عرض سطحه إلى ٣٩ مترًا (١٢٨ قدمًا) ، تصل المسافة بين برجيه إلى ١٠٧٤ مترًا

(٣٥٢٤ قدمًا ) ويبلغ ارتفاعها ١٠٥ من الأمتار (٣٤٤ قدمًا )، أما المسافة بين البحر والجسر فتصل إلى ٦٤ مترًا (٢١٠ أقدام) ، حصل هذا الجسر على المركز الرابع بين أطول الجسور المعلقة في العالم عند اكتماله في سنة ١٩٧٣.



ويمكن للسائح زيارة برج غلطة وهو برج حجري يعود للقرون الوسطى ، موجود في ناحية غلطة من إسطنبول ، شمال مضيق القرن الذهبي بنى الجنويون هذا البرج عام ١٣٤٨ في مستعمرتهم بالقرب من القسطنطينية.

يبلغ ارتفاع البرج ٦٦.٩٠ مترًا كاملةً ، و ٦٢.٥٩ مترًا دون احتساب طول العمود المزخرف على سطحه ، الذي يصل في طوله إلى ٥١.٦٥ مترًا، كان هذا البرج أطول مباني المدينة عندما تم تشييده، فقد وصل ارتفاعه إلى ارتفاع مبنى بتسع طبقات ، وهو ارتفاع شاهق مقارنة بمباني ذلك الزمان ، يصل القطر الخارجي للبرج إلى ١٦.٤٥ مترًا عند القاعدة، و ٨.٩٥ مترًا في الداخل، وتصل سماكة الجدران إلى ٣.٧٥ مترًا

قصر يلدز الشهير بين القصور في العالم بُني هذا القصر عام ١٨٨٠، وكان مقرًا للسلطان عبد الحميد الثاني وحاشيته ، القصر عبارة عن مجمع من البيوت الصغيرة ودور متعددة كان السلاطين العثمانيين يلجأون إليها للابتعاد عن مشاكل الحكم وهمومه وللاستراحة من متاعب العمل بين الحين والأخر ، كانت المنطقة التي بُني فيها القصر مليئة بالأحراج [ الأحراش ] وقد اشتراها السلطان أحمد الأول ، وأنشأ فيها أول دار للاستجمام ، وقلّده

بذلك السلاطين اللاحقين .

تتكون مدينة إسطنبول من ٣٩ منطقة أو ناحية يسكنها عدد كبير من الناس جرّاء النزوح التاريخي المكثف نحو المدينة، وبسبب توسعها وضمها للقرى والبلدات المجاورة منذ أوائل النصف الثاني للقرن العشرين .



يوجد في مدينة إسطنبول مطاران دوليان : مطار أتاتورك الدولي ، وهو الأكبر، الواقع في ناحية "القرية الخضراء" المعروفة أيضًا باسم "القديس استيفان"، على الجانب الأوروبي من المدينة، على بعد حوالي ٢٤ كيلومترًا (١٥ ميلاً) عن وسطها، كان المطار يقع على الحدود الغربية للمنطقة الحضرية عندما اكتمل بناؤه، أما الآن فهو يوجد داخل حدود المدينة ، أما المطار الأصغر فهو مطار صبيحة گوكجن الدولي ، الواقع في ناحية "قرية الذئب" على الجانب الآسيوي، بالقرب من حلبة سباق إسطنبول، وهو يقع على بعد ٢٠ كيلومتر تقريبًا (١٢ ميلاً) شرق الشاطئ الآسيوي، و ٤٥ كيلومترًا (٢٨ ميلاً) شرق وسط المدينة الأوروبي .

تُعد الملاحة البحرية حيوية بالنسبة لإسطنبول، بما أن البحار تحيط بالمدينة من جميع جوانبها بحر مرمرة ، مضيق القرن الذهبي، مضيق البوسفور، والبحر الأسود ، يسكن الكثير من الإسطنبوليين الجانب الآسيوي من المدينة ويعملون على الجانب الأوروبي ، أو العكس ؛ لذا فإن عبّارات الركاب تُشكل أساس التنقل اليومي بين قسميّ المدينة بالنسبة للكثير منهم، بدرجة أكبر حتى من الجسرين المعلقين الذين يصلا طرفيّ البوسفور،

كذلك تُشكل هذه العبّارات والحافلات البحرية الطوّافة سريعة الحركة ، صلة الوصل الأساسية بين البر الرئيسي لإسطنبول وجزر الأمراء.

ظهرت أول العبّارات البخارية البوسفور سنة ١٨٣٧، وكانت تُدار من قبل شركات خاصة ، وبتاريخ ١ يناير من عام ١٨٥١ أسست الحكومة العثمانية "الشركة الخيرية" لتكون أول شركة عمومية تمتلك عبّارات وتخصصها لخدمة الشعب ، استمرت الشركة الأخيرة بإدارة قطاع النقل البحري حتى أوائل عهد الجمهورية التركية ، عندما أُخضعت لإشراف "خطوط النقل البحري التركية"

في السنة ١٨٨٣ قام مقاول بلجيكي يُدعى "جورج نگلميكر"، بالبدء بتنفيذ مشروع مدّ سكة حديدية بين مدينة باريس وإسطنبول، وفي الفترة الممتدة بين إنشاء السكة وانتهائها، تمّ اللجوء إلى عبّارة بخارية لنقل الناس من مدينة فارنا ببلغاريا إلى إسطنبول، والعكس ، وفي العام ١٨٨٩ اكتمل القسم الأول من السكة الحديدية، فوُصلت إسطنبول بفارنا عن طريق بوخارست، فأصبح بإمكان الناس السفر برًّا بسهولة إلى هذه المدينة لأول مرة ، عُرفت هذه السكة في الغرب باسم "قطار الشرق السريع " ، وقد اشتهرت وذاع صيتها بفضل الأعمال الأدبية للكاتبة الإنجليزية المشهورة " أجاثا كريستي" ، فلها رواية بوليسية حملت هذا الاسم من بطولة مخبرها السري هيركول بوارو ، وترجمت للعربية أكثر من مرة ، والكاتب "غراهام غرين" الذين تناولوها في مؤلفاتهم الأدبية المسرحية .

افتتحت المحطة سنة ١٨٩٠ تحت اسم "محطة المشير أحمد باشا"، وشكّلت المحطة الأخيرة لقطار الشرق السريع ، أما اليوم فقد أًعيدت تسميتها "محطة سركيسي"، وهي تتبع مصلحة السكك الحديدية للجمهورية التركية، وتُشكل المحطة الأخيرة لجميع خطوط القطارات على الجانب الأوروبي من إسطنبول، وصلة الوصل الأساسية لشبكة السكك الحديدية التركية مع باقي أوروبا .

وعلى الجانب الآسيوي من إسطنبول تقع "محطة حيدر باشا " وهي مركز القطارات المتجهة يوميًا إلى أنقرة ومناطق أخرى في الأناضول، افتتحت محطة حيدر باشا سنة ١٩٠٨، وكانت تشكل المحطة الأخيرة في سكة حديد برلين بغداد وسكة حديد الحجاز ، تتصل السكك الحديدية على كلا الجانب الأوروبي والآسيوي ببعضها البعض عن طريق عبّارات مخصصة لنقل القطارات، ومن المقرر توقيف هذه العبّارات عن العمل عند الانتهاء من مشروع "نفق مرمرة" أو "سكة مرمرة" الذي سيصل جانبيّ المدينة بنفق يمتد تحت سطح بحر مرمرة .

وأيضا في إسطنبول عدد من مراكز التسوق التاريخية، من شاكلة: السوق الكبير المغطى ١٤٦١ سوق محمود باشا ، والسوق المصري أو سوق البهار، افتتح أول مركز تسوق حديث بالمدينة سنة ١٩٨٧، وهو "معرض قرية الأب " ، ثم تلاه افتتاح عدد كبير من المراكز في السنوات اللاحقة، مثل "المركز الأبيض " ، وهو المركز التجاري الوحيد الذي فاز بجائزتيّ "أفضل مركز تسوق في أوروبا" و"أفضل مركز تسوق في العالم" التي يمنحها المجلس الدولي لمراكز التسوق (ICSC) ، مركز تسوق مترو سيتي ؛ مركز شيشلي الثقافي والتجاري الذي يُعتبر أكبر مراكز التسوق في أوروبا؛ ومركز كانيون للتسوق الذي فاز بجائزة أفضل تصميم معماري ، وفي إسطنبول مركزين تجاريين مخصصين للمستهلكين ذوي الأجور المرتفعة، هما مركز منتزه إستنيه ، ومركز نيشان تاشي ، حيث لا يُعرض فيها سوى الأصناف والعلامات التجارية العالمية باهظة الثمن.



تنتشر في المدينة إسطنبول عدّة مطاعم أوروبية وشرق آسيوية إلى جانب المطاعم المحليّة وغيرها من المطاعم التي تقدم أنواعًا مختلفة من أطباق المطابخ العالمية ، تقع معظم الخمّارات والحانات التاريخية بالمدينة في ناحية باي أوغلو بالمناطق المحيطة بجادة الاستقلال ، وفي الجادة سالفة الذكر رواق تاريخي مشهور يُسمى "رواق الزهور " فيه عدد من الحانات والمطاعم ، ويعود تاريخ إنشاء هذا الرواق إلى القرن التاسع عشر، وذلك على يد المهندس اليوناني "كريستاكيس زوغرافوس أفندي" الذي بناه على أنقاض "مسرح نعّوم" وافتتح في سنة ١٨٧٦ ، وفي نفس المنطقة أيضًا يقع شارع "نيڤيزيده" ذي المطاعم المجاورة لبعضها البعض.

وقد أعادت السلطات المختصة إحياء بعض الأحياء القديمة المحيطة بجادة الاستقلال في السنوات الأخيرة الماضية ، ومن هذه الأحياء "شارع الجزائر " الواقع بالقرب من ثانوية غلطة سراي، والذي تعارف الناس على تسميته "بالشارع الفرنسي بسبب انطباعه بالطابع الفرانكوفوني ، حيث توجد فيه الكثير من الحانات والمقاهي والمطاعم التي تُعزف فيها الموسيقى الحية، كما في المطاعم والمقاهي النمطية الفرنسية.

تشتهر إسطنبول أيضًا بمطاعمها المختصة بتقديم الأطباق البحرية ، وأشهر المطاعم البحرية فيها هي تلك التي تقع على شواطئ البوسفور وبحر مرمرة بجنوب المدينة كذلك هناك عدد من المطاعم البحرية المشهورة على الجزر الكبرى من جزر الأمراء، وبالقرب من المدخل الشمالي للبوسفور من ناحية البحر الأسود.

هناك الكثير من الملاهي الليلية والمطاعم والحانات والمقاهي الباذخة التي تُقدم عروضًا موسيقية مباشرة في جميع أنحاء المدينة، ويرتفع عدد هذه الأماكن المخصصة للهو في الصيف ، وإضافةً لمعارض الفن والمسارح ودور السينما، في المناطق المحيطة بكل من: جادة الاستقلال، المرمى، بيبك، وقرية القضاة ، تستضيف المسارح المهمة في إسطنبول الحفلات الغنائية للمطربين والفرق الموسيقية العالمية، ومن أبرز هذه المسارح: ميدان

إسطنبول في حي مسلك، وميدان السبيل الجاف الواقع على البوسفور ، كذلك فهناك "منتزه الغابة" في حي مسلك، ويُعد من أبرز الميادين التي تقام بها الحفلات الغنائية المباشرة والاحتفالات الحماسية الصيفية .



انتقل المقدم رباح حمدي لإسطنبول التي تجمع بين الحضارة الإسلامية والأوروبية التي عرفناها لكم ؛ لأن الحكاية بدأت من إحدى حانتها الليلية ، واستقر في فندق في وسط المدينة حيث استقرت العائلة ، وقضى يومه مع والده وشقيقه المحامي ، ثم زار شقيقه المصاب سنار حمدي برفقتهم ، وفي الصباح التالي زار جبران في سجنه، ثم اتصل بالضباط الأتراك الذين زوده بأسمائهم العميد إبراهيم ، واستقبله الضابط التركي "علي جان اوزدمير" من شرطة المدينة ، وسمح له بالاطلاع على المحضر الخاص بحادثة حانة ( كارتل ) في جادة الاستقلال باي اوغلو حيث تكثر الحانات والمقاهي السياحية.. وكان في المحضر أن الحادث شجار سكارى في حانة دفع الجاني إلى إطلاق النار على سنار حمدي ، وجبران سعدي لم يدل بأي كلام خطير؛ ولكنه بين لهم أنهم يعرفون الجاني حق المعرفة.. وكذلك ذكر البوليس أن الرجل معروف لدوائر الشرطة والأمن، وأنه من رجال العصابات المنظمة، وسجل عليه الكثير من القضايا الأمنية.. والشرطة رفضت طلب نقل المصاب لبلده حتى تنتهي القضية، وتعرض أمام المحكمة المختصة؛ لأن المجرم صرح أثناء القبض عليه أن القضية تصفية حسابات ، ولم يكشف الرجل المدعو "آق كوز " ما هي هذه الحسابات التي دفعته للشروع في جريمة قتل .. ولا حتى جبران كشف شيئا، ولا المصاب الناجي من الموت .

ولقد حاول رباح فهم سبب الاعتداء من البوليس دون فائدة مهمة إلا أنه صراع عصابات مافيا دولية .. فتسأل وربما تسأل غيره ما علاقة سنار وجبران بالعصابات الدولية .. وجبران السجين لم يزد لهم إلا أنهم كانون يسهرون في الحانة كعادتهم منذ زمن منذ وجودهم في تركيا أيام الدراسة .. وأن الرجل انفعل وغضب منهم فأطلق الرصاص عليهم وهو في حالة سكر .. أأمسك به أمن الحانة ، واستدعي البوليس .

فعاد القوم لبلادهم بغير نتيجة .. وحيرة أخرى ملئت قلب رباح حمدي .

وكان رباح يتمنى في قرارة قلبه وفكره لو حتى عرف شيئا خطيرا يزيل الغموض في علاقة شقيقه برجل العصابات التركي ، ويعلم سبب الاعتداء الحقيقي، لقد سعى لدى بعض أفراد الأمن السري التركي لمعرفة المزيد من المعلومات ، ولم تزد معلوماتهم عن أن الرجل آق كوز يعمل عضوا في عصابات دولية ، وهو رجل معروف بالإجرام ، وقضى سنوات من عمره في سجون الجمهورية التركية .. فكان السؤال المهم ما نوع العلاقة بينهم وبين السيد سنار وجبران ؟ أصحبة حانات أم عصابات؟!

تحسنت صحة سنار بعد شهر، ونقل إلى إحدى مستشفيات السجن.. ولما قدمت القضية للمحكمة بعد شهور أفرجت السلطات التركية عنه وعن السيد جبران ، وعادا لأرض الوطن ، وحاول المقدم رباح فهم دوافع الحادث من جديد ؛ لكن دون فائدة .. ولم يكشف شيء من غموض الاعتداء .. سهرة في حانة .. رجل يقدم لهم خدمات في إطار ترتيب الصفقات التجارية.. ما هي تفاصيل هذه الخدمات ؟ لم يتحدثا بتفاصيل هذه الخدمات التي يقدمها رجل عصابات لتجار مثلهم .. كاد رباح أن ينسى هذا الحادث بعد حين .. كما ينسى الناس الكثير من الحوادث .. وما أدراك برجل شغله مطاردة وتعقب الحوادث الإجرامية كبيرة وصغيرة ؟!.. سينساها أو يتجاهلها ويشتغل بأحدثها كاد ينسى الحادث العارض لشقيقه سنار .. لولا ما حدث ليلة رأس السنة الغربية .

جريمة رأس السنة

لقد انتشر بين رجال الأعمال والمال في بلاد العرب والمسلمين الاحتفال برأس السنة الميلادية ، ويحتفلون بها في الفنادق ذات النجوم الخمسة والأربعة، وفي النوادي الخاصة بهم، والصالات الفخمة؛ وذلك للتقليد الأعمى للغرب والاستعمار الذي شجع ورغب بهذه الاحتفالات والمناسبات، واعتبرت السنة الميلادية سنة الأعمال والجرد والميزانيات العمومية للشركات والمصانع .. وفي بعض دول العالم الإسلامي، وقل أغلب الدول الإسلامية تعتبرها السنة الرسمية للدولة وموازنتها العامة .. وبعض الدول تعتبرها عطلة رسمية ، فتتوقف الدوائر الحكومية ومؤسساتها عن العمل ذلك اليوم.. وتجري احتفالات شعبية ورسمية في بعض البلاد احتفاء بها .

وسنار بصفته رجل أعمال وتاجر في المدينة لا تفوته مثل هذه الحفلة، بل كان يهتم بها، ويحتفل بها أثناء وجوده في تركيا طالبا وتاجرا ، ولسعي الأتراك بالاندماج الكلي في أوروبا يهتمون بها.. وأغلب مشاركته بليلة رأس السنة تكون في الفنادق الكبيرة التي تهتم بإحيائها بفرق رقص وموسيقى شرقية وغربية.. وتارة يذهب لأوروبا للاحتفال بها ثم يعقبها عقد صفقات تجارية.

كان يقضي السهرة مع فريق من الأصدقاء ورجال الأعمال الذين يعتبرون رفاقه في المدينة كانت الحفلة في إحدى صالات فندق العصفور الماسي .. شاهد الغناء والرقص الغربي .. وأكلوا من البوفيه المفتوح ، وشربوا الشراب المغتال للعقول .. كانت الحفلة فرصة لهم للمجون والرقص .. وكانت الحفلة تعتبر يوما فريدا ومهما للمرح والسرور والسكر طول الليل.. ومع تباشير الفجر ينصرفون من قاعات الرقص والسكر.. فغادر الرجل الثمل الصالة عندما بدأ السكارى مثله بالمغادرة ، كان يمسك بيده أحد الخدم العاملين للفندق.. وخادم آخر يمسك بيد زوجته الثملة مثله الشبه عارية بملابسها الفاضحة ؛ إنما هو التقليد الأعمى ، ونافسته في الشراب ، وهي التي ولدت قبل أيام قليلة ووضعت

مولودها الأول .. وسهرة كهذه لا يجب أن تفوتها وهي ابنة الغنى ورجال الأعمال وابنة العائلات الثرية ..(١)

خرجا من المصعد إلى باب الفندق حيث ينتظرهم السائق الخاص بالسيارة أمام مدخل الفندق .. كانا يترنحان من كثرة السكر ، ربما لو ترك الخدم أيديها لسقطا أرضا من فرط الشراب والسكر.. كانت السيارة تقف عند الرصيف أمام الفندق لكثرة السيارات.. لذلك ذهب السائق الخاص وأمسك بيد السيدة من الخادم وأدخلها كرسي السيارة الخلفي، وأغلق الباب وتركتها ترتمي على المقعد .. شبه فاقدة للوعي ، ورجع ليأخذ بيد سنار الذي يترنح يمينا وشمالا ،

ولكنه واقف على رجليه.. ومشى به نحو باب السيارة.. ولما فتح له الباب ليدخل في المقعد المجاور للسائق.. سمع دوي رصاص ، وسقط سنار أرضا بين الرصيف وباب السيارة متكوما على بعضه يصرخ من الألم ،وابتعدت سيارة مسرعة ، السيارة التي أطلق منها الرصاص ، وهرع رجال أمن الفندق وبعض الموظفين لمكان الحادث.. ثم أقبلت سيارة الإسعاف والنجدة ، ثم حضر رجال البحث الجنائي والتحقيق وتبعهم الطب الشرعي .. ثم نقلت الجثة التي لفظت أنفاسها قبل وصول سيارة الإسعاف إلى المستشفى العام .. ولما ذكر السائق الخاص اسم القتيل .. اتصل أحد الضباط بشقيقه المقدم رباح ، ولما استيقظ الرجل على صوت الهاتف كانت امرأته تستيقظ مثله ، وهم معتادون على التلفونات في كل الأوقات ، فقالت له بقلق : من ؟!

ـ قتل أخي سنار أمام فندق العصفور الماسي ، وهو يحتفل برأس السنة مع عصابته!

(١) الإسلام حرم الخمر وبين خطرها وضررها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة] فلها ضرر ديني وعقلي وأخلاقي واقتصادي واجتماعي وصحي وحتى سياسي .

تحقيق الشرطة

قام رجال الشرطة بتحقيق جنائي كامل حول ملابسات مقتل سنار التاجر.. عرفت السيارة التي اتخذها الجناة وسيلة لارتكاب الجريمة ، فقد تبين لهم أنها مسروقة وقد بلغ عنها منذ أيام قبل حادث القتل.. وفشلت الشرطة في الوصول لسارق تلك السيارة ، وفشلت في معرفة الجاني ، وبعد مرور أكثر من أسبوع قيدت الجريمة ضد مجهول .

زار رباح ابن عمه جبران شريك أخيه في التجارة ، وسعى لأخذ معلومات منه تفيده في التحري والتحقيق الخاص الذي صمم على متابعته للإيقاع بالجناة .

وقال له جبران بعد كل المحاولات والمراوغات : الصمت يا ابن العم أفضل.

بعد تأمل بنصيحة جبران همس رباح : يمكنني أن أقول بكل ثقة يا أبا صابر أن لهذه الجريمة المؤلمة علاقة بجريمة إسطنبول .

قال جبران بضيق ونفرزة خفيفة: لا تضغط عليّ .. ما قلته لك في تركيا قلته لك الآن وغدا.. كنا نسهر في ذلك الملهى كما تعودنا في كل رحلاتنا إلى أنقرة أو إسطنبول .. وذاك الرجل كان يعاوننا في بعض المهمات القذرة التي يستطيعون فعلها ، ونحن لا نستطيعها التجارة والصفقات تحتاج أحيانا لمثل هؤلاء الرجال .. طلبنا منه عملا ما، ففشل في فعله فطلب أجرة، فرفضنا قبل تحقيق العمل .. فما كان منه إلا أن أخرج مسدسا ـ قد أدخله خلسة ، لأن السلاح ممنوع إدخاله للحانات والملاهي ـ ورمى به سنارا برصاصتين ، وكنت قد رميته أرضا فسقط فهجم أمن الملهى عليه بسرعة ، وجاءت الشرطة .. أما المهمة التي أردناها منه فهي سرية ومن أسرار العمل.. وسنار نفسه رفض ذكرها لك ، فعليك أن تعلم أنني عاجز عن ذكرها .. فأنا أرفض يا أبا جلال .. أرجوك لا تضغط عليّ .. وأنا مثلكم وأكثر منكم متضايق من مقتل ابن عمي سنار .. صديقي الوحيد في العائلة .. وأنا مثلك أعتقد أن لتلك الجريمة في ملهى تركيا علاقة بجريمة مقتله هنا .. والرجل التركي آق كوز الذي حاول قتله هناك علمت أنه ما زال يقبع في السجن ..

هنالك ربما استئجار قاتل سهل وممكن ، أما هنا وأنت خير من يعلم لا يمكن استئجار قاتل.

ـ وأنا اتصلت مع بعض الأخوة الضباط وذكروا أن الرجل لم يخرج من السجن منذ ذلك الحادث ، وقد يفرج عنه قريبا بعد انتهاء مدة الحبس .

بعد صمت عاد رباح يقول: اسمع يا ابن العم إذا كان عندك معلومة مهمة في الانتقام والثأر لشريكك وصديقك سنار أخبرني بها حتى لا تتورط في قضايا أمنية.

هزّ الرجل رأسه وقال : ليس عندي شيء، وأنا أشد حزنا لمقتل سنار.. فأرجوك يا أبا جلال ..أن تدعني وتنساني .

نظر إليه متأملا ثم قال : إني مستغرب من تصرفاتكم .. أليس عليك خطر ؟

ـ حياتي كلها خطر يا ابن العم.. والذي يلعب بالنار عليه أن يتحمل النار وحرق النار .

ـ والتجارة ؟

ـ أنا تحدثت مع عمي حمدي ، وسأقوم بمساعدة مكتب المحاسبة الذي يعمل حساباتنا لمعرفة حصة سنار في الشركات والمحلات ، وسيدفع للمحكمة لتقسمه بين الورثة، وعلمت من أحد المحامين أن المال سيقسم على أربعة أشخاص أمك وأبيك وزوجته وابنه المولود حديثا .. فعمي راغب بأخذ أموال سنار والانفصال عن التجارة والمحلات، وحصة ابن سنار ستخضع لمؤسسة رعاية أموال الأيتام .. والزوجة لست أدري بشكل حاسم ستبقى شريكة أو تنفصل .

ـ شكرا لك ، أنت تعمل حسب الأصول .. اسمع يا ابن العم أنا لن يهدأ لي بال حتى أعرف أسرار سنار ومغامراته ، ومعرفة أسباب قتله هنا وأسباب محاولة قتله هناك .. سوف أعرف ولو تركت العمل في الشرطة وتفرغت لهذه القضية .

ـ اسمع نصيحتي أيها الضابط .. من حقك أن تعرف قاتل شقيقك .. نصيحتي الخالصة لك وللأسرة نسيان القضية .. ما دامت الشرطة عجزت وأوقفت البحث .. فأنت افعل

مثلها .. فكل يوم يأتي يباعد من الوصول إليهم .. فمقتل سنار إذا كان جريمة كبيرة .. فيمكنك أن تسميها جريمة دولية .

ـ دولية !

ـ ما دام أنت ربطتها بحادث باي اوغلو .. فهي دولية وأنا سأقول سرا خاصا بي .. بعد أن أتأكد من ظنوني وشكوكي وتصفية الشركات والشراكة بيني وبين المرحوم سنار سأختفي من هذا البلد .

ـ تختفي ؟!

ـ أجل .. إذا تأكدت فستكون حياتي أيضا في خطر.. فأنا شريك سنار .

ـ اطلب حماية الأمن .

ـ الأمن .. ماذا سيفعل ؟ وسيسألون .

ـ تكلم تحدث عن هذه الشكوك .

ـ صعب يا أبا جلال .. أرجوك أنني لا أحب الحديث عن أسرارنا الخاصة في التجارة .

ـ عجيب أمر هذه الأسرار!! .. كأنكم تتاجرون بصناعة الصواريخ أو القنابل الذرية .. تجعلون لتجارات تافهة أسرارا خطيرة .. وتابع بعصبية: على كل حال قرفت منك .. إذا احتجت لمساعدة فأنت تعرف مكان عملي وتلفون البيت .. وسأعلم بإذن الله قتلة شقيقي

ـ أتمنى أن تعرف .



زار المقدم رباح ضابطا كبيرا عمل في خدمة التحقيقات الجنائية ، وتقاعد منذ زمن يسير العميد ( حيدر افشي ) ، وقد برع الرجل في التحقيق في الجرائم ومطاردة الجناة وحل الغاز الجرائم المعقدة ، وقد اشترك معه في تحقيق عدد من الجرائم والحوادث التي شابها

الغموض أثناء الخدمة .. واستقبله الضابط على اتصال مسبق بينهم .. وساقه إلى مكتبه الفاره في بيته الواسع والمؤثث بأفضل الأثاث، ولما انتهت المجاملات ، وتذكروا بعض أحاديث الذكريات، وأدخلت الخادمة عليهما القهوة قال رباح : لقد علمت بحادث مقتل أخي سنار .

ـ أجل، وشهدت جنازته ـ رحمه الله ـ وذكرت لي يومها قصة محاولة قتله في تركيا منذ أشهر .. والذي أدهشني أنكم لم تمسكوا الجناة .

ـ ومن أجل هذا جئت إليك يا سيدي العميد .. فأنت صاحب خبرة وفطنة مشهود لك بها بين رجال الأمن والتحقيق البوليسي .. لم أسمع أنك عجزت عن الوصول لجاني قاتل في حياتك المهنية المديدة .

ـ بارك الله فيك يا رباح .. والشكر لله وحده ، وهذا من توفيق الله وحده .. لقد شاركت في تحقيق جنايات سياسية ومدنية ووفقني الله بالنجاح فيها .. آ .. والآن ما هي قضيتك بالتفصيل .

ـ القضية يا سيدي أننا لم نعرف الدافع للاغتيال .. فسنار أخي ليس سياسيا .. إنما هو بائع ومستورد للأطعمة والشراب والحلوى .. وأكثرها منتوجات تركية .. لم نعلم له أعداء .. وكان موفقا في تجارته .

وسرد عليه بعض حياة سنار ، وذكر له حادث ملهى إسطنبول .. وحدثه عن الغموض الذي يراه هو شخصيا المحيط بحياة سنار الخاصة .

ولما سكت رباح خيم الصمت على المكتب لبضع دقائق ثم همس حيدر : هل في القصة رائحة المخدرات ؟!

ـ شككت في ذلك منذ زمن ؛ ولكن لا دليل عندي .. لم يسجل عليه أي قضية مخدرات لا شراء .. لا بيع .. لا تهريب ..لا ترويج .. والذي شككني يوما بهذه الثروة التي بين يديه .. إنها ثروة كبيرة هبطت عليه وهو دون الثلاثين من عمره .. وإنفاق بسخاء .. كل

سنة سيارة آخر موديل أمريكية أو ألمانية .. لم يسجل عليه أي قضية تهريب مخدرات .. أو تجارة أسلحة .. هذا الشك جاءني من المال الكثير فحسب

ـ وابن عمك جبران لا يتكلم بشيء ينير الطريق .. وأنت متأكد أنه يخفي أشياء

ـ نعم ، يزعم أن هناك أسرارا للعمل .

ـ الدافع غامض في هذه الجريمة .. لو كان هناك مخدرات لقلنا ربما تصفية حسابات بينهم أو صراع زعامات أو مناطق ترويج .. سيارة الجريمة سيارة مسروقة قبل الحادث بأيام .. وهل ثبتت براءة مالكها مائة بالمائة ؟

ـ نعم ، السيارة لسيدة متزوجة ولها خمسة أبناء ، تعمل السيدة في إدارة مدرسة خاصة .. فقد سرقت سيارتها وأخفيت في مكان ما لساعة تنفيذ الجريمة .. والشرطة قد عممت عن فقدها ، وكان البحث عنها جاريا .. وأعتقد أن السيارة بريئة من الجريمة .

ـ والمفتاح المستخدم في قيادتها .

ـ لم يستخدم العنف في استخدامها ، والقتلة لا يعجزون عن تقليد مفتاح سيارة

ـ هي عصابة إذن .

ـ القتل حدث لما هبط سنار وقرينته فجرا يترنحان من شدة السكر ليلة رأس السنة الغربية إلى الشارع أمام الفندق ، أدخل السائق المرأة في المقعد الخلفي ، وفتح باب السيارة الأمامي ليدخل سنار بجواره ، ولما اقتربا من الباب اقتربت سيارة من سيارة أخي ، وأطلق أحدهم الرصاص عليه ، فسقط على الأرض بين الباب والرصيف.. ولما جاءت سيارة الإسعاف، كان الرجل قد فارق الحياة، ومات مخمورا للأسف .. وأطلق القاتل الرصاصات من نافذة السيارة ثم ابتعدت مسرعة أمام ذهول السكارى.. جريمة مدبرة وجريئة ومعد لها بتدبير وتخطيط .. ورغم سرعة تنفيذها تمكن أحد الموظفين العاملين في الفندق معرفة أرقام لوحة السيارة ولونها ونوعها.. وبعد حوالي خمس ساعات وجدت السيارة مركونة في منطقة مهجورة ، الرِجل إليها خفيفة كما يقال ، ولا

شيء فيها يدل على الجناة .. لا بصمات ولا عقب سيجارة .. واختيار الوقت والمكان يدل على علم الجناة بتحركات سنار ومكان سهرته ووقت انصرافه ..

ـ رفاق السهرة أليس لديهم معلومات ؟

ـ لم ير رجال أمن الفندق شيئا مريبا تلك الليلة .. وأغلب المحتفلون رجال أعمال وزوجاتهم .. وحياتهم رقص وسهر وسكر وموسيقى رفاق مجون .. كما قرأت في محاضر الشرطة لم يذكروا شيئا مهما حدث تلك الليلة .. القضية صعبة، ولكن لابد من ثغرة وخيط وخطأ لم نعرفه لحتى الآن.

ـ نعم ، لابد من نقطة في غير موضعها لم يلتفت إليها رجال الأمن ، سأفكر بعمق في هذه القضية التي تبدو معقدة .. لأنه لم يقبض على الجاني والسائق .. هل فروض معينة وضعها رجال الشرطة ؟

ـ وضعوا فروضا كانتقام .

ـ انتقام ؟!

ـ افترضوا أن سنارا أساء لأحد أو لفتاة ، وأن أهلها أو زوجها انتقموا منه .. ولما راجعوا سيرة سنار مع النساء لم يجدوا ما يثبت هذا الافتراض .. لم يجدوا هذه الفتاة التي أساء إليها لينتقم أهلها .. افترضوا أنه عضو في عصابة ؛ ولكن أين هذه العصابة ؟.. التقوا بعمال المحلات والشركات لم يجدوا إشارة بهذا المعنى .

ـ جريمة محيرة فعلا أيها الزميل الفاضل! .. على كل حال هذه الجرائم الغامضة إذا لم تكشف بسرعة ستكشف بعد حين ؛ لأنه سيكون لها ذيول .. لابد من تحديد القتلة ، وستظهر دوافع الجريمة ولو بعد حين .



نقاط

اتصل العميد حيدر برباح ولما التقيا وشربا الشاي انتقلوا لمكتب العميد ، وأغلق الباب عليهما ، وقال بعد استوائهما جالسين متجاورين : تحدثت مع بعض كبار الضباط ، وبالفعل إن المعلومات التي لديهم ضئيلة جدا .. وهم في ارتباك وتعجب ويقولون إن الجريمة مخطط لها بمكر وتمهل ووراءها عقل جبار .. وقد تركوها للزمن، ربما يختلف الشركاء في الجريمة ويسقط بعضهم .

ـ هذا أكده لي مدير الأمن العام يا سيدي شخصيا.. وحتى ضباط كبار في مخابرات البلاد لا شيء عندهم حول الحادث الرهيب .

قال العميد الجنائي حيدر ببطء: أنا فكرت بكل سمعت منك، ولسوف أزور إدارة التحقيقات وأقرأ كل المحاضر ، وعندي نقاط قد تساهم في مسك خيط

تحرك رباح في كرسيه وقال بحماس: نقاط .. حسن .. تفضل .

ـ هنا نقطة في سرقة السيارة .. كيف سرقت السيارة؟ أنت ذكرت أنها لم تسرق بعنف ، لم يستعمل العنف في سرقتها، وجدت سليمة .. إنها سرقت لتحقيق هذا المقصد الإجرامي.. استخدم مفتاح مقلد بتشغيلها .. كيف حصلوا على مفتاحها الأصلي ليصنعوا تقليدا له ؟

ـ أنت تعلم يا سيدي أن سارقي السيارات لا يعجزهم تقليد المفاتيح ، فكيف بمن يخطط لارتكاب جريمة كهذه ؟

ـ نعم ، فهم يحتاجون إلى نسخة أصلية يقلدون عنها.. هل أخذوا عددا من المفاتيح وجربوها ورسوا على المفتاح الملائم ؟ .. أنت ذكرت أن السيارة وجدت سليمة ، واستخدم مفتاح في تشغيلها، لم تشغل مباشرة من الماتور والبطارية .. كيف وصل المفتاح للعصابة؟ .. هم عصابة هذه النقطة الأولى .. علينا أن نعرف عند من تصلح المرأة سيارتها وآخر مرة صلحت فيها السيارة ؟ .. لأن هؤلاء الفنيين أحيانا يأخذون المفاتيح

من أصحاب السيارات لتحريك السيارة إلى هنا وهناك .. فأصحاب السيارات عادة يتركونها لديهم ، ويعودون بعد ساعات وبعد أيام .. حسب الوقت اللازم للتصليح .. وبعضهم يتركها في محطة الصيانة والتنظيف وعند مغادرة العمل يعود لاستلامها واستلام مفاتيحها .. وهؤلاء العمال يستغلون هذه الفرصة لقضاء حوائجهم في تلك السيارات .. على رجال البحث الجنائي الاهتمام بهذه النقطة بالعودة لتلك السيدة ومعرفة المحطة التي تصلح بها سيارتها ، وآخر مرة زارت تلك المحطة للتصليح أو التنظيف .. وليفعلوا هذا بسرية تامة .. فإذا ثبت لدينا هذا الظن .. وأن السيارة كانت في كراج تصليح أو صيانة .. فيتابع عمال الكراج الفني أو محطة الصيانة .. فربما نصل لشيء .. سنجد من قلد المفتاح سرا .. فاستخدام هذه السيارة نقطة ضعف .. وإن كان المجرمون يعتبرونها نقطة قوة ..

أعجب رباح بهذه الفكرة الصغيرة وعلق فقال : رائع تفكير ممتاز !

ـ بارك الله فيك إذن هذه نقطة مفتاح السيارة المسروقة.. من معالم هذه الجريمة يا سيدي أن القتلة يعرفون السيد سنارا جيدا، فقد أصابه الجاني نفسه لم يصب السائق، هو يعرف الهدف المصوب إليه جيدا .. فالسائق لم يصب بأي طلقة .. والقاتل رام جيد أو ربما لقرب المسافة .. والجناة يعرفون مكان سهر سنار في الفندق ـ العصفور الماسي ـ ويعرفون وقت خروجه من السهرة والحفلة فتحركوا في الوقت المناسب .. ويراقبون المكان بشكل جيد فهل لهم أعوان في الفندق ؟ سواء من العاملين أم من الزائرين والمحتفلين ؟ .. هناك ترتيب للعملية الإجرامية .. رجال أمن الفندق لم يشاهدوا سيارة الجناة إلا عندما بدأ الناس ينصرفون من الحفل ، فدخلت السيارة رويدا رويدا من يراها يعتقد أنها قادمة لتقل بعض المحتفلين.. لم تكن موجودة في موقف سيارات الفندق .. هم ظنوا أنها تدخل لأخذ زبون كغيرها من السيارات .. ولما دخلت الزوجة السيارة بمساعدة السائق.. اقتربت من سيارة سنار أكثر فأكثر.. وكان الناس المحتفلون يركبون سيارتهم وهم في حالة يرثى لها من السكر .. وجرى الحادث فور اقتراب السيد من سيارته .. وهربت

السيارة والناس في حالة ذهول لسماع صوت الرصاص .. هكذا يقول رجال الشرطة في وصف الحادث .. وتعقبوا الاتصالات من الفندق ليلة الحادث وهي كثيرة وهي نقطة مهمة أيضا على افتراض أن العميل لهم اتصل مخبرا بخروج الصيد.. الشرطة لم يصلوا لشيء من ذلك .. وعلينا أن نراجع الاتصالات لعلنا نجد فيها شيئا يفتح علينا به .

ـ نقطة ممتازة أخرى يا سيدي العميد .

ـ أيضا نريد أن نعرف القائمة التي كانت ترافق سنار وزوجته في تلك السهرة .. النساء والرجال.. ومعرفة تفاصيل عن حياتهم الخاصة وأعمالهم.. أنا أعلم أن هذه التحقيقات صعبة وتحتاج لوقت ونظر عميق يا سيدي المقدم .

ـ إنها نقاط جديرة بالاهتمام .

ـ وهناك نقاط هامة وخطيرة.. وهي مراقبة ابن عمك جبران، والتنصت عليه ؛ لعلنا نسمع شيئا مهما من أسرار عمله الخفي .

ـ للأسف هو لم يتكلم معي وأنا ابن عمه ، وأستطيع حمايته ممن يخافهم ويخشى خطرهم إذا كان صادقا .. فهل سيتكلم أمام الموظفين وأمام زوجته ؟ بل إنني سمعت أنه طلق امرأته منذ أيام ولم أتأكد من الخبر بعد .. علاقتي أيها الأخ الفاضل مع ابن عمي وحتى أخي الميت كانت باردة للغاية لطبيعة أعمالنا.

ـ لابد من تعقبه لفترة معينة ومتابعة حركاته واتصالاته فهو مفتاح الجريمة .. فهو يعلم شيئا ؛ ولكنه خطير لا يستطيع أن يفصح عنه، فهو يتعامل مع ناس أقوياء وقادرين على فعل هدفهم .. وإذا الرجل ضمن مافيا تركية أو عالمية فالأمر خطير بمعنى الكلمة !

ـ فكرت في هذا الاحتمال كما ذكرت في لقائنا السابق لا إشارة ولا قرينة تؤيد هذه الاحتمال .

ـ ربما لأن نشاطهم في تركيا ليس في بلادنا، وقد ذكرت أن البوليس التركي لم يسجل عليهم شيئا ضد القانون .. يا سيدي المقدم الدافع للجريمة ما هو ؟ السبب ما هو ؟

سيعيننا الله ويلهمنا الحق والحقيقة ، لابد أن يكشف لنا بصيص من الضوء في النهاية .. أرجو ألا تطول .. رفاق السهرة وناس الفندق الذين كانوا على مسرح الحادث ليس لديهم معلومات مهمة .. ملاحظة .. كلمة .. هل من خائف بينهم ؟!

ـ رجال التحقيق بذلوا كل جهد، ولم يعرفوا إلا لون سيارة الجناة ورقمها مما سهل الوصول للسيارة المستخدمة في الجريمة .

ـ هل ثبت يقينا أن السيارة المسروقة هي الوسيلة المستخدمة لنقل الجناة لتنفيذ الجريمة ؟

ـ أتقصد أن معطي الرقم خدع الشرطة ؟ الشرطة حسب معلوماتي أكدت أنها نفس السيارة التي شوهدت على مسرح الحادث الماركة اللون.. فالذي ذكر الرقم ذكر فقط أربعة أرقام منها .. وآخر ذكر أرقاما أخرى.. والاتفاق على اللون جعلهم يتأكدون أنها التي تحمل الجناة .. هناك من ذكر لون القميص الذي يرتديه القاتل ..

فقال حيدر : بإذن الله سنعرف الجاني قاتل شقيقك سنار .. عليك أن تتابع النقاط الثلاث التي تحدثنا عنها .. وسأجري الكثير من التشاور مع ضباط الأمن الزملاء ليقدموا لك الدعم والعون الكافي.. ولا يعني تقييد الجريمة أو السرقة ضد مجهول أن التحقيق انتهى .. فإذا جد جديد من الشهود والأدلة يفتح التحقيق مرة أخرى .. يترك الأمر للزمن ..

ـ جزاك الله خيرا يا سيدي العميد.. الإنسان عندما يعرف عدوه يستريح .. الدم غالي .. لا نريد أن نثأر أو ننتقم؛ إنما نريد أن يأخذ العدل مجراه.. وتهدأ نفوسنا.



متابعات

قام مكتب التحقيق الجنائي بإجراء لقاء جديد مع مالكة السيارة المسروقة والمشتبه باستخدامها في عملية الاغتيال، وعلموا منها اسم المكان الذي تعمل الصيانة لسيارتها فيه خاصة المرة الأخيرة التي سبقت الحادث ، فذكرت أنها تعمل التنظيف وتغيير الزيت والتشحيم في محطة اسمها " العين " ، والأعطال الكهربائية في مشغل جوار تلك المحطة ، وأفادت بأنها تعالج أي أعطال ميكانيكية في نفس المنطقة .

ولما علم رباح هذه المعلومات البسيطة تبين له أنه يعرف تلك المنطقة جيدا ، بل تذكر أن إحدى هذه المحلات يعمل فيها قريب له ، ويتردد عليه لمعالجة سيارته ، فاتصل به وتحدث معه في موضوع استخدام سيارات الزبائن ، فأخبره الرجل أن استعمالها يكاد أن يكون عرفا خاصة من يترك سيارته لديهم لزمن طويل.. أربع خمس ساعات .. فيغامر العمال بقضاء حوائجهم بواسطتها ، وسأله سؤالا مغريا له وقال: أحدث أن قلد عامل فني مفتاح السيارة وسرقها فيما بعد ؟!

فكان رد القريب أن مثل ذلك يحدث ، وإذا اكتشف أمرهم ، فهم يطردون من العمل ، ويصبحون من أصحاب السوابق في سرقة السيارات ، وهؤلاء يكشفون عند سرقة سيارة غالبا .. بل زاده إن شخصا عمل عنده شخصيا فترة من الوقت ، واستطاع تقليد مفتاح سيارة كانت تصلح في محله، ثم سرقها وهرب بها مواد ممنوعة ، وقبض عليه وذكر له اسمه .

ولما وصل الحديث لسيارة تلك المرأة مديرة المدرسة ، فذكر القريب له أنه يعرفها شخصيا وعالجت سيارتها عنده أكثر من مرة ؛ ولكنه لا يستطيع اتهام شخص بصنع مفاتيح مقلدة لسيارتها ثم سرقها.. لم يحدثه رباح أن تلك السيارة المسروقة ارتكبت بها جريمة قتل شقيقه ، أشعره فقط بأنهم يسعون لمن سرقها وركنها في منطقة مهجورة .. فلم تنشر الصحف خبر وجود سيارة الجريمة ، إنما نشرت وقوع الجريمة بسيارة يستقلها المجرمون

بدون ذكر أنها سيارة مسروقة .

طلب رباح من شباب البحث الجنائي الاهتمام في تلك المنطقة ، وشرح لهم الغاية من هذا التحقيق .. فتشجع القائد للقيام بهذا البحث والتحري الدقيق .




وأما مسالة الاتصالات التي جرت من الفندق تلك الليلة فقد تبين أنها أكثر من خمسمائة اتصال حدث تلك الليلة ، بعضها استغرق دقائق ، وبعضها دقيقة أو دقيقة ونصف .. وهي اتصالات عادية بدأت لرجل التحقيق لا شيء مريب فيها .

وكلف رجال البحث الجنائي بالتحري عن عدد من أصحاب القتيل سنار .. فتبين للضابط الذي قاد التحريات أن الأمر معقد وقد يستغرق وقتا طويلا ، وربما يكون الجهد في النهاية لا قيمة له .. ولكن اليأس لا يجب أن يصل لقلب رجل الشرطة والأمن .. وأخذ يذكرهم أن بعض الجرائم أخذت سنينا حتى اكتشف الجناة .. وبعضهم قتل العديد من الناس حتى انكشف وظهر للعيان فقال : فلا يجب أن نتعجل الأمر .. ولا يجب أن نحبط.. فالوصول للجاني غاية نبيلة .وقال لنفسه " وبالنسبة لي راحة وسكينة " ثم تنهد تنهدا عميقا وذهب في تصورات وخيارات وأفكار تؤدي في نهاية المطاف إلى معرفة قاتل أخيه وردد في قلبه : هل ننتظر حتى ترتكب جريمة أخرى لنعرف القاتل ؟!

التقى الضابطان مرة ثالثة لمناقشة ما تجمع لديهم من معلومات، فلم يجدوا أنهم يملكون شيئا مهما يتبعونه سوى الاعتراف بأن الجريمة حيكت بدهاء وترصد ، وقد نجح القتلة من الإفلات من قبضة رجال الشرطة .. كان حيدر ينظر في عيني رباح ويقول : رغم

بساطة الجريمة إذا صح التعبير فهي نفذت بمهارة وإتقان ، واختيار الوقت كان اختيارا موفقا ، خلو الشوارع من السيارات تلك الليلة ساعد على الهرب السريع، وأغلب رواد الفندق ينصرفون مخمورين .. ومدخل الفندق يسهل الحادث والابتعاد فورا .. وارتكاب الجريمة بسيارة مسروقة وخاصة أن صاحبتها امرأة وتربوية لا يشتبه بتواطئها كان محكما ، والبرد والشتاء ساعد على إخفاء آثار الأحذية ، ولم يصادفا أي دورية شرطة في ذاك الجو الاحتفالي .. الحظ ساعدهم ولكنهم سيتحركون ثانية ويقعون.. والمساعدون للجاني سيبتزون الزعيم بعد نجاح الجريمة.. فإما يتخلص منهم أو يتخلصون منه .. القضية قضية وقت لا أكثر .. الخوف سيكون الرفيق لهم إلا إذا خرجوا من البلاد .. هذه الجريمة المعقدة في رأيي صراع بين أصدقاء أمسوا أعداء .. وأعتقد أن حادثة الغدر في تركيا لها علاقة بالجريمة هنا .. فالرجل الجاني هناك أداة والرجل هنا أداة ..

ـ وأنا الآن أجزم أمامك أن لها علاقة بها كما تقول يا سيدي العميد .. وهذا سيزيد الغموض ، ومراقبة جبران لحتى الساعة لم تسفر عن شيء يذكر .. حياته طبيعية سهر في الليل ، وحفلات سكر وفجور ، ونوم عند صلاة الفجر حتى العاشرة صباحا .. إفطار .. يتنقل بين المحلات والشركات حتى المساء ثم يستقر في مكتب إحدى الشركات .

ـ لو كان سنار يشتغل بالأحزاب والسياسة لقلنا الجريمة ذات دوافع سياسية .. نفذتها أجهزة مخابرات .. فمن أجل ذلك نقول الخيوط معقدة غير واضحة

ـ زرت الكثير من أصحاب سنار ، وهؤلاء لا يعرفونه إلا في السهرات واللهو .. عدت للتفكير في حياة سنار في تركيا .. ليس له لدى الشرطة إلا قضايا أخلاقية .. زنا قمار.. مخدرات لا .. دعارة لا .. التجارة التي يمارسونها لا غبار عليها .. لا مشاكل مع الجمارك لا تهرب ضريبي .

ـ أخوك ذو ذكاء بفعله هذا .. فالتهرب الضريبي نراه في حياة التجار والمصانع أمرا عاديا.. وهذا وباء عالمي .. ففعل شقيقك يريب .. مؤسسات حكومية تتهرب من

الضرائب .. فالتزام حرفية القوانين يثير الريب أن شيئا أكبر يحدث.. فحيل التهرب كثيرة ، وهي موجودة في نفس القانون.. فالرجل كان حريصا على ألا يشتبك بالجمارك وموظفي الضريبة .. لا أتصور فعل ذلك حبا في الدولة والنظام .. حياة شقيقك تلفها الغموض .. من خبرتي يا رباح التي تعرفها بصمات المخدرات والعصابات المنظمة .. ولا تمل من متابعة جبران .

ـ التلاعب في المحاسبة والأرقام وارد .. لا أعتقد أن شركة خاصة لا تفعله .

ـ وهذا الذي يريب في شركات سنار وجبران !



## انتظار

الإنسان مهما أوتِ من عقل وقوة فيبقَ في لحظات ضعيفا عاجزا .. خيم على حيدر ورباح الحيرة والضعف في تلك الجريمة ، رغم باعهما الطويل في التحقيقات الجنائية ، متابعة جبران لم تسفر عن شيء، ثم أوقفا المتابعة .. بل فكرا بالسفر لتركيا لتتبع سيرة حياته وعلاقاته وأصدقائه فيها .. ورأيا ذلك بدون تعاون شرطة تركيا مستحيلا .. وفكرا بزيارة ذلك الرجل الذي سعى لقتل سنار في حانة إسطنبول .. وضعفهما باللغة التركية أضعف همتهما أيضا .. فظل الأمل أن يحدث شيء جديد يحرك القضية ويكشف بعض غموضها .. فلذلك كان رباح كلما يسمع عن جناية أو حتى جنحة يتابعهما باهتمام في غرفة عمليات الأمن العام وإدارات الشرطة ؛ لعله يجد خيطا أو شبهة في جريمة سنار .

رغم وجود الشهود الكثر فقد استطاع الجناة من النجاة والاختفاء .

أكمل جبران شريك سنار جرد المحلات والشركات ، وقام مكتب المحاسبة والتدقيق بمعرفة حصة الورثة الأربعة بعد قسم أموال الشركة لنصفين ، وعن طريق مكتب محاماة والمحكمة الشرعية حصر الإرث الشرعي وقسمت حصة سنار على الورثة ، وأخذ كل صاحب حق حقه .. وهكذا انتهت العلاقة بين أسرة سنار وأسرة جبران .

وبعد توزيع ميراث سنار بشهور يسيرة ، وقد مضى على موته سنة حدث تطور لفت نظر المقدم رباح .

زوجة سنار السيدة ريما أمير تزوجها سنار قبل مقتله بثلاث سنوات ، وكان عمره يقارب الأربعين ، وكانت هي ابنة اثنتين وعشرين سنة ، وترملت على خمس وعشرين سنة ، وأنجبت له ولدا واحدا، ولد قبل مقتله بأيام معدودات .

بعد موت سنار عادت الفتاة إلى بيت أبيها أمير ، فقد كان بيتها ضمن الأملاك التي تم بيعها من أجل الورثة .

اتصل والد ريما ببيت حمدي يخبرهم بأن قريبهم جبران تقدم للزواج من ابنته .. ولما سمع

رباح بهذا الخبر أصابته الدهشة والريبة .. وأهله طبعا أخبروا الرجل أن الشأن يعود له ولابنته ، فهم كانوا لا يطيقونه هو ولا ابنته .. بل بعض الأخوة رفض هذا الزواج، واستاء من هذا الاختيار ، وكانوا يرغبون بأن يتزوج فتاة من الأسرة ، ولكنّ سنارا لعلاقات تجارية وشخصية مع السيد أمير رفض اعتراضهم ، وتزوج ابنة الرجل التي قبلت به رغم فارق السن بينهما .

ترددت الفتاة في البداية بقبوله زوجا لها ، وأمام ضغط الوالد قبلت ووافقت عليه زوجا لها .. وكانت تعرف مجونه وفجوره فهو على شاكلة والدها ، وبينهما علاقات خاصة ، وإنهم لا يحترمون الحياة الزوجية ، فهو صورة أخرى من والدها ؛ ولكنهم يملكون المال الكثير.. فهي تعلم أن لوالدها علاقات نسائية خارج البيت ، وأمها تعلم هذا وتقبل به ، فلم ترها تحتج عليه يوما ما .. وكانت تسمعهم يقولون " لابد للمرأة من زوج .. ولو ديكور ".

فتزوجت الشابة الصغيرة الرجل الذي بلغ الأربعين بدون أن يكون له قبلها زوجة شرعية وبيت تسكن فيه امرأة على اسمه.. وربما تعرف جبران حق المعرفة .. وهو على شاكلة أبيها وزوجها .. وكانت تعلم أنه تزوج أكثر من مرة .. وتعلم أنه طلق الأخيرة بعد مقتل ابن عمه بأسابيع .

لذلك تحدث رياح معه عن دافع هذا الزواج من أرملة ابن عمه . فقال متضايقا وضجرا من تدخله: كما تعلم يا ابن العم لا أحب أن يخلو بيتي من امرأة شرعية.. وتعلم أني تزوجت أربع مرات وكلهنّ طلقتهن.. ولا حرج من الزواج من أرامل.. ولها سنة أرملة ، ولم يطلبها أحد.. فعرضت نفسي على العم أمير فرحب بذلك ، وطلب مهرا .. وبالنسبة للطفل إذا أردتم أخذه لا مانع عندي.. وأنا لا أمانع كذلك من بقائه معها فهو ابن أخي سنار.

ضحك رياح وقال بسخرية: ابن سنار تربيه أنت!

ـ نعم، أنا لم أفهم لماذا يتشاور معكم أمير في زواج ابنته؟! .. فقد انتهت العلاقات بينكم.. وكنتم تكرهونه وتكرهونها .. هل عندكم مانع من الزواج بأرملة أخيكم ؟

ـ مانع!.. أبدا .. فنحن لا دخل لنا بزواجها منك أو من غيرك وهي خرجت من المستشفى بعد علاجها من الصدمة مباشرة إلى بيت أمير والدها .. هي لم تحبنا يوما ، ونحن بادلناها مثل هذا الشعور .. وحتى صاحبك سنار كان يجاملنا القليل القليل.. كأنه لم يكن من العائلة .. وربما تحدث أمير مع أبي من أجل الولد ولوجود الولد بيننا.

ـ على كل حال لما يحصل النصيب سوف أدعوكم لحضور عرسي الجديد .

ـ على خير يا سيد جبران .. عندما يحدث النصيب سنتكلم بموضوع الطفل .. أهلا بك.

وانتهت المكالمة ، وبالفعل بعد أسابيع دعوا لحفل الزفاف في فندق العصفور الماسي حيث كان يحب جبران وسنار السهر والاحتفالات، وحيث لقي سنار مصرعه.. فرباح يعرف ماهية حفلات جبران.. فرق موسيقية تركية غربية مغني لامع شراب طعام .. تصرف عشرات الألوف كل ذلك في سبيل الشيطان .

حادث الزواج المفاجئ لرباح من أرملة شقيقه شغله قليلا.. إنما الذي جعله مهما لرباح ما حدث بعده.. فلم ينته شهر العسل لجبران حسب عادات اليوم حتى كان المقدم رباح يستلم رسالة غريبة ومثيرة .. رسالة مختصرة مطبوعة على آلة كاتبة وقادمة من إسطنبول

( ها هو قاتل أخيك تزوج من أرملته شريكته في الجريمة .. هل نسيت دم سنار ؟ )

كانت الرسالة صاعقة لرباح ، وأعادت لنفسه شكا راوده ذات يوم ، كانت الرسالة مرسلة من شركة، ثم تبين لرباح أنها شركة وهمية لا وجود لها ، بعد تأمل ونظر زار العميد حيدر افشي للتشاور ، الذي قرأ الرسالة بدوره ، وبعد صمت استمر لدقائق بينهم ، قال العميد المتقاعد : اسمع يا أخ رباح .. أنا منذ البداية داهمني شعور نحو ابن عمك جبران ومن أجل هذا الشعور شجعتك على وضعه تحت المراقبة.. ومع تلك المتابعة لهواتفه وتحركاته لم يثبت عليه شيء .. لهو وسهر وبضع ساعات في الشركات والمتاجر ..

لذلك لا نستطيع الجزم بصحة هذا الاتهام .. لماذا تأخر لحتى هذا الوقت ؟! ولماذا اتهم بعد زواجه من ريما ؟ .. سندقق في تحركات جبران ليلة الحادث وقبله بأيام .. رغم صعوبة هذا .. وفي حادث تركيا هل لجبران دور في المحاولة ؟ .. سنار لم يتفوه بشيء يشير لعداوة خفية بينه وبين جبران ؟

قال رياح : لم تظهر أي عداوة بينهما للعيان قبل وبعد حادث تركيا .. وحتى يوم فندق العصفور كان جبران يقضي سهرته في فندق آخر.

ـ لم يظهر له دور في حادث تركيا .. لماذا يتستر أخوك على دوره إن كان له دور؟! وهل كاتب هذه الرسالة حاقد حاسد أم شريك لهم ؟ .. فالأمور تزداد تعقيدا ..وبالرغم من هذا التعقيد بسبب هذه الرسالة.. فالحل يلوح فيها .. فالآن لدينا مشتبه بهم .. جبران .. أمير .. ريما .. كاتب هذه الرسالة المجهول .

قال رياح بعمق : لقد شككت بابن عمي لغموضه معي وزعمه أسرار العمل .. وحاورته ونصحني بترك التحقيق ، فالأمر يراه خطيرا على حياتي وحياته .. وتذرع بأسرار العمل حاولت انتزاع كلمة من سنار أثناء وجوده على سرير الشفاء في المستشفى التركي لأبني عليها .. فلم يتكلم، ففسرت الرفض بالخوف من الخصوم .. ولما عاد إلينا حاولت من جديد أن أعرف السبب الحقيقي للحادث .. فلم يتكلم ورفض الحديث بشيء حول الحادث .. أبى الإفصاح عن كلمة تفسر الغموض المحيط بالحادث .. ولما وجهتني لمتابعة جبران ، والتنصت على مكالمته الهاتفية أدركت أنك تشك بالرجل كما شككت أنا فيه.. وكلفت رجالنا بمراقبته .. ولكن يا سيدي ما الدور الذي لعبته ريما في هذه الجريمة ؟!.. فليلة الحادث كانت رفيقته في السهرة .. وغرقت كعادتها في السكر والرقص رغم وضعها لطفلها الأول قبل الحادث بأيام .. والدها لم يحضر الحفلة معهم تلك الليلة .. فقد كان يشارك ناديه الخاص تلك الاحتفالية كما سمعنا.. فهم كلهم على شاكلة واحدة في هذا الجانب من التفسخ والمجون .. السؤال يا سيدي العميد .. من كتب الرسالة ؟ ولماذا

من تركيا ؟! لماذا هذه الرسالة بعد زواج جبران وريما لماذا ؟! أين كان ضمير كاتب الرسالة قبل هذا الزواج ؟! هل حقا كانت علاقة خفية بينهما كما يوحي كاتب الخطاب ؟! ما الذي قلب جبران على سنار صديق العمر وشريك العمر ؟ فجبران أكبر سنا من سنار .. وجبران زوج فاشل.. وعنده أولاد من مطلقاته خاصة الأولى والثانية ، وبعضهم شباب أنهى الجامعات .. لماذا يقتل شريكه؟ أيقتله ليتزوج امرأته ؟.. كانت تستطيع هي طلب الطلاق والزواج من جبران دون قتل ؟ .. وظلت أرملة سنة قبل هذا الزواج ؟ .. ولماذا قبلت بالزواج من سنار وهو يكبرها بعشرين سنة؟ المال فقط هو الذي دفعها للقبول به؟ أخبر سنار أن زواجه منها كان مصلحة وشغل .. هل عشقت جبران من وراء سنار ؟ .. ولهذا طلق امرأته ليمهد لهذا الزواج .. أسئلة كثيرة دارت بين الضابطين .. واستمر النقاش.. كان الوصول للجاني قد أصبح عقدة وتحديا لمهارتهم في التحقيقات البوليسية .. لم يستبعدا أن يقتل جبران سنارا ولكن السبب ما هو ؟ وهل تشارك ريما في جريمة لتنكح رجلا أكبر من سنار ؟ .. فالطلاق يحل المشكلة بدون دم وقتل .

لما رجع جبران من شهر العسل اتصل به رباح مهنئا بالزواج وبالعودة سالما واستأذنه بمقابلة خاصة ، فقبل جبران وكان يدرك أن ابن عمه ما زال مشغولا بقضية قتل سنار ، وكان يتمنى من قلبه أن ينسى ابن عمه القضية ، ورغب أن يعرف الجديد في القضية ، فلذلك قبل الزيارة واستقبل ابن عمه ورفيقه العميد حيدر ، وبعد السلام والتهنئة قال رباح وهو يخرج الرسالة التركية من جيب جاكيتته : أنا آسف يا ابن العم.. لكن عليك أن تقرأ هذه الرسالة ـ ومدها لجبران ـ التي وصلتني وأنت في شهر العسل وتعلق عليها .
حدق جبران لبعض الوقت في عيون الرجلين وقال وهو يمسك بالرسالة : أنت ما زلت مشغول البال بمقتل سنار.. وأنا نصحت لك أو لمحت لك أكثر من مرة بنسيان القضية فلنقرأ الرسالة التي عجلت بك إليّ .

تأمل جبران الغلاف للحظات ، وأخرج الرسالة القصاصة ، وقرأها فتغير لون وجهه ، وقلب الغلاف عدة مرات، ثم أطال النظر بعيني رباح ثم قال : هل صدقت ما فيها ؟

ـ ولماذا أرسلت لي من تركيا ؟

قال جبران بانزعاج واضح : أنت تضعنا في خطر جسيم ..

قال رياح بحدة: هل الرسالة كاذبة ؟

صاح الآخر : طبعا كاذبة .. أنا أعرف أنك تشك فيّ منذ أول ساعات الحادث .. وأعرف أن رجالك طاردوني فترة من الزمن.. وأنا أعلم أنه ليس لديك دليل لاتهامي، وما عندك شكوك فقط .. وأنا لم أقتل ابن عمي لأتزوج امرأته؛ ربما بعد أيام ستسمع خبر طلاقها، فقد أمضينا شهرا في عراك وشجار ، وما هو بشهر عسل أو حتى بصل ، أنا أفكر بأن تمهلني بضعة أيام ؛ لأقول لك ما أعرفه عن مقتل سنار.. وأخشى ما أخشاه أن لا أعيشها وأنبهك أمام هذا الرجل الفاضل .. أنك إذا عرفت الحقيقة ستكون حياتك في خطر الموت والقتل .. لا تهز رأسك استخفافا ، هل أنت مصر على السماع ؟

قال رياح بصوت عاد له الهدوء : أنا الذي يهمني يا جبران أن أعرف القاتل لينال جزاءه .

أطفأ جبران السيجارة وقال بسخط : سأقول ما عندي الآن!! .. أخوك مجرم .

ـ مجرم ؟!

ـ نعم ، مجرم كبير في عالم الجريمة رغم حمله لشهادة هندسة .. لا تغضب مما تسمع .. أنا لم أقتل سنارا .. كان لي دور وسنار يعرف ذلك .

ـ سنار يعرف أنه سيقتل .. ماذا تقول ما هذا الكلام؟!

ـ سنار يعرف منذ حادث تركيا أن حياته أصبحت تحت المرمى .. ما زلنا على البر هل أتابع ؟

قال رباح بحمية : لا تخشى شيئا تكلم سيحميك الأمن.

ـ يحميني الأمن ! .. حسنا يا ابن العم سأكمل .. حادثة القتل التي حدثت في تركيا لم

تكن حدثا عرضا أو صدفة.. كان الرجل فعلا يقصد قتل سنار، وهو ينفذ أوامر ، ونحن نعرف من أصدر الأوامر ومن يصدر الأوامر .. فنحن لا نعرف الرؤوس الكبيرة .

ـ الرؤوس الكبيرة !

ـ إذن اسمعا الحكاية من البداية .. ونحن ندرس في جامعات تركيا عملنا مع حركات سرية ، ثم تبين لنا أننا نعمل مع عصابات دولية .. قل منظمة دولية .. وكنا قد تورطنا قبل المعرفة بنشاطهم بأننا نقلنا موادا مهربة إلى أوروبا .. فأصبحنا تحت رحمتهم فلا مجال للتراجع .. الضعف البشري .. إغراء الشهوات والإباحية .. سقطنا في براثنهم.. كنا ننقل صفقات تهريب ماس.. ذهب.. مخدرات .. نحن ننفذ تعليمات وخطط ترسم لنا .. ونقبض الأجرة .. وأي أجرة مال كثير يغري الشيطان نفسه.. ولما انهينا الدراسة وأنا أسبق سنار بسنتين ظللت هناك حتى تخرج سنار ، وعدنا وظللنا على اتصال بتلك العصابة.. رسموا لنا العمل الذي علينا أن نعمل به .. التجارة .. المحلات .. شركات استيراد وتصدير .. وكما يعلم الأهل أننا كنا نكثر التردد على تركيا أو قبرص واليونان وذلك بطلب منهم .. وهناك نستلم البضاعة حسب الإشارات والرموز التي تصلنا ، ثم نسافر بها إلى المكان المطلوب .. وكان من دهائهم ألا يدخل العميل لهم بضاعة لبلده الأصلي .. إنما يقوم بإدخالها رجال آخرون من جنسيات أخرى حتى لا يكون في ذلك خطر على الشخص منا وعلى رجل العصابة والعصابة .. مائدة الميسر الخضراء رهيبة تكسب مرة وتخسر عشر مرات .. السيد سنار كان مدمنا للقمار .. وخسر الكثير من ثروته التي كسبها من المخدرات والتهريب على تلك الموائد .. وهنا وقع في خطأ جسيم بالنسبة للعصابة .. لقد أصبح يأخذ من البضاعة جزءا يبيعه لنفسه وحسابه الخاص .. ومع تكرار الأمر عرفت العصابة النقص الذي يحدث في تلك الحقائب .. ولما وجه بذلك الاتهام .. هدد بالاعتراف للشرطة .. فهذا سبب الاعتداء عليه في الملهى التركي يا مقدم رباح .. وتصرفت أنا بسرعة وضربت يد القاتل فنجا سنار ، والرجل المعتدي معروف

للبوليس التركي والدولي وقضى نصف عمره في السجون .. كان الخطر يهدد سنارا وحده، ولكن بعد تدخلي أصبح الخطر يحيق بي أيضا .. وعدنا عن طريق الشرطة مباشرة من السجن إلى المطار .. وطبعا قبلنا عرض العصابة أن الحادث عرضي وساعة غضب وشجار وسكر ، وغلب على ظننّا أن الأمر انتهى وستصلح الأمور .. ورفضنا التعاون والسفر للخارج لتهريب الحقائب .. وهؤلاء لا يوجد عندهم إجازة وتقاعد .. فجاء بعضهم لمقابلتنا ودعوتنا للعمل من جديد ، وأنه سيضمن حياتنا ولكن هل لمجرم ضمان وعهد ؟!.. وبين لنا أننا نشكل عليهم خطرا بترك العمل .. فأدرك سنار أن هذا تهديد بتكرار جريمة القتل .. واللجوء للشرطة صعب .. فكل نشاطنا خارج المدينة والبلاد فماذا ستفعلون لنا ؟ العصابة في أوروبا وجزء منها في تركيا .. ونحن لنا علاقات بعدد محدود منهم .. في تركيا اليونان قبرص .. مالطة .. فكان اللجوء للبوليس نراه من غير جدوى .. فعلينا أن نعتمد على أنفسنا في حماية أشخاصنا .. وكثر ترددهم خلال الشهور التي سبقت قتل سنار وأصر سنار على الرفض واستقال من العمل معهم .. ولما يئسوا من استدراجه للعمل من جديد والخروج من البلد هددوه بالاغتيال ، فقال لهم وأنا أسمع : "إذا خرجت من بلدي ستقتلونني .. افعلوا ما شئتم .. مللت منكم .. ومن أموالكم "

وكان الرجل بعد محاولة القتل قد خف لعبه للقمار .. لأن أكثر ممارساته كانت في تركيا وأوروبا .. طلبوا مني قتله للإبقاء على حياتي ، فرفضت هذه الفكرة وقلت "ابن عمي من لحمي ودمي" هم طبعا لا يعرفون هذه المعاني .. فتركونا وانصرفوا ونحن موقنون بأن حياتنا في مهب الريح .. حقيقة كان وضعنا مقلقا وصعبا نحن عملنا في مافيا منظمة وليس من السهل الاختفاء منها .. ونحن متورطون معهم للنخاع كما نقول .. قبل أن أتحدث عن ليلة الاغتيال .. عليّ أن أكشف لكم دورا آخر كنا نقوم به للعصابة هنا هذه المرة ، ولسنا وحدنا نقوم به .. ذكرت لكم أن مهمتنا الأساسية نقل المخدرات والمهربات خارج بلادنا .. وعلينا أن نبقى أمام القانون في بلدنا نظيفين والبعد عن الشبهات بكل

قوة .. ولكن كانت لنا مهمة أخرى وهي تأمين سيارات مسروقة لعصابات التهريب داخل البلاد .. وهذا أيضا مقابل عمولة تدفع لنا مقابل كل عملية .. نحن لا نعرف رجال العصابات الذين يعملون معهم .. ولا نهتم بذلك .. ولا نلتقي بهم .. ونعرف موقنين أن لهم رجالا يعملون هنا ، ولا علاقة لنا بهم ، ولا يهمنا معرفتهم .. وحتى بعد محاولة قتل سنار ظللنا نؤمن لهم السيارات المسروقة لأنهم يدفعون .. كانوا يرسلون لنا رسالة سرية لسرقة سيارة وإرسالها لمكان معين يعرفونه أكثر منا .. أما كيف نسرق السيارات ؟ فهذا يكون عن طريق ورشات التصليح وورشات غسل السيارات الكثيرة ؟

فقال رباح : تقليد المفاتيح ؟

ـ نعم ، عندنا مشغل لتقليد المفاتيح .. الذي يعمل فيه لا يعلم أنه يقلد مفاتيح لسرقة السيارات .. هو يقلدها لسيارات شركاتنا ومحلاتنا .. عندما يطلب منا تأمين سيارة جيدة لمكان ما .. أذهب أنا وأحيانا سنارا خاصة في أيامنا الأولى قبل أن نستعين ببعض الأفراد الذين يعملون معنا .. أذهب لمحطة كبيرة لتصليح لغسل لصيانة.. وأثناء وجودي في المكان في انتظار دوري .. أشاهد سيارة تصلح للعملية .. وخاصة أن بعض الزبائن يتركون المفاتيح للعمال ليحركوا السيارة .. وبواسطة معجونة خاصة أطبع عليها مفتاح السيارة ومفتاح الباب.. ومرات نشعر هؤلاء الصبيان بأننا معجبون بالسيارة فيسمحون لنا بالجلوس فيها مقابل دينار أو علبة سجائر .. ونذهب بالمعجونة إلى صانع مفاتيح مشهور ويتردد عليه الناس لصنع مفاتيح بيوتهم وخزائنهم المفقودة .. ثم كونّا مشغلا كما حدثت آنفا ، وكنا نعرف بطريقة خاصة من العمال في مكان التصليح أو التنظيف عنوان صاحب السيارة أو شركته أو مكتبه .. وعندما يقترب موعد نقل السيارة نتلقى اتصالا دوليا يطلب منا وضع السيارة في يوم كذا ووقت كذا.. فنتنكر وننفذ السرقة للسيارة المطلوبة وننقلها للمكان المطلوب ونترك المفاتيح تحت عجلها الخلفي ..ونعود بسيارة أحدنا الذي كان يتابع العملية بسيارته عن بعد .. واعلموا أيها الضباط أننا عادة نملك

عددا من المفاتيح المقلدة لعدة سيارات.. لأننا عندما نذهب لسرقة سيارة قد لا نجدها في مكانها فسنذهب لغيرها .. وبعد زمن وجدنا رجالا يقومون لنا بهذه المهمة .. وهم تحت السيطرة بالمال والإغراق بالشهوات .. وهم لا يعرفون ماذا نفعل بالسيارات المسروقة ؟ ولكنهم يعلمون أننا نفعل بها شيئا مخالفا للقانون .. بل لنا أكثر من ورشة تصليح يديرها رجال يعملون معنا ولكنهم لا يعرفون بهذه اللعبة .. هم أدوات فقط .. فهذا الشرح لابد منه .. لأن هذا ظللنا نمارسه للعصابة حتى بعد حادث تركيا .. كنا نقبض على كل سيارة تسرق لتنفيذ مهمة عشرة آلاف دولار .. ثم تعود السيارة لصاحبها .. لا تحول إلى خردة تسرق لمهمة .. نحن نعرف أنها نقل مخدرات .. طبعا بصمات آثار لا يجب أن نترك في السيارة المسروقة ، ولا نعرف من سيأتي لقيادتها .. ولا يهمنا ماذا سيجري بالسيارة ؟ هل أمسكت الشرطة بالسيارة قبل العصابة ؟ أو بعدها ؟.. المهم نفذنا السرقة للسيارة ونقلت للمكان المطلوب .. وكذلك عمليتنا في خارج البلاد.. إذا احتجنا لنقل البضاعة بسيارة .. نذهب في وقت معين ويوم معين إلى مكان معين .. فنأخذ المفتاح من تحت العجل الخلفي الأيمن أو الأيسر .. ونمشي بالسيارة لمكان معين فنقابل ناسا لديهم مفاتيح التفاهم من شيفرات متفق عليها فيأخذون البضاعة بسيارتهم أو نفس السيارة التي نقلنا فيها البضاعة ، ويتركوننا في أقرب مكان للمواصلات والنقل .. ويختفون.. نحن قبلنا بالاستمرار بالعمل معهم في تأمين السيارات المسروقة على أمل المحافظة على حياتنا بعدم قطع كل العلاقات معهم .. قبل الجريمة طلب منا سرقة سيارة خاصة بامرأة متزوجة .. وإن كان هذا غريبا .. لكنهم يطلبون أحيانا سيارة صاحبها رجل أو صاحبها امرأة .. لماذا ؟ لا نعرف السبب .. سرقنا سيارة الموظفة في مدرسة خاصة ومتزوجة .. والذي نفذ سرقة السيارة أنا وسنار هذه المرة .. ذهبت أنا وإياه بسيارتي .. وذلك يكون عادة بعد نصف الليل حيث تخف حركة السيارات في الشوارع .. أوقفنا السيارة قريبا من بيت السيدة .. أتظاهر بأن عطلا وخللا حدث في سيارتي أفتح غطاء الماتور وأطفئ

الإنارة .. موهما الرائي والمار والدورية بعطل في السيارة والكهرباء.. وعادة نسعى لسرقة السيارات التي تكون خارج البيت تقف أمام البيت .. ونحن نعرف مكان السيارة التي ننوي سرقتها إما من عمال الورشة وإما بعد خروج السيارة من التصليح أو الغسيل فنتابعها عن بعد ، ثم نعود مرة أخرى لنتأكد من عنوان وسكن صاحب السيارة.. العملية مدروسة ومنظمة .. والمبلغ مغر هو ثمن سيارة جديدة .. ولكننا سرقنا سيارات من داخل الفلل.. وأفضل وقت لسرقتنا عند الثانية فجرا .. وكانت سيارة السيدة التي وقع عليها الاختيار تقف خارج البيت .. فسهل الأمر علينا.. ونحن نضع لوحة أرقام مزورة ليلة السرقة خشية اعتراض دورية أو حدوث خطأ ما .. اقترب سنار من السيارة ودخلها خلال ثوان ، وبعد دقيقة اشتغل الماتور وانطلق بها حيث الهدف ، ثم أغلقت باب ماتور سيارتي ولحقت به إلى المكان المعروف لنا.. وكان ليلتها في شارع حاتم الطائي في حي جمار النخل.. وركنا السيارة على طرف الشارع.. وتركنا شباك السائق مفتوحا ، ووضعنا المفاتيح أسفل العجل الخلفي .. وانتقل سنار إلى سيارتي ومشينا إلى أحد البارات وقضينا فيه ساعة من الزمان ، ثم أوصلته لبيته.. وفي الصباح بلغ أن المهمة تمت وفي ظهر اليوم وصل المبلغ على أحد البنوك ، وحول لحسابي نصفه .. أما من اغتال سنار فهذا لا أعرفه .. فهذه مشاركتي في جريمة الاغتيال ؛ لأنني عرفت أن السيارة التي سعينا لسرقتها نفذت بها الجريمة

ـ من أين عرفت ؟

ـ منهم .. اتصل أحدهم بي .. وأخبرني قائلا بأن سيارتكم شاركت في عملية القضاء على سنار.. السائق لسيارة الجريمة والقاتل هل هم من هنا أم من الخارج ؟ لا أدري يا سيدي والراجح لديّ أنهما من الخارج خاصة القاتل .. أما السائق ربما يكون من الداخل .. وبالتأكيد أن لهم مناصرين ومساعدين من البلد لتسهيل عملية الهرب والاختفاء.. وأنا مستعد لأي سؤال واستفسار .. وكشفت لكم أوراقي قبل موتي واغتيالي.. هكذا قانون

هذه المنظمات الرهيبة.. واعلموا أنه ليس بيني وبين السيدة ريما أي علاقة خاصة لا عشق ولا غيره .. وهي امرأة سيئة بالمجمل ، ولا أدري كيف كان يعيش معها سنار ؟! ولكن كان زواجه لعلاقة بينه وبين أبيها أمير.

فقال حيدر الصامت : وهل لأبيها علاقة بالمنظمة الإجرامية ؟

ـ لا أعتقد .. فهو رفيقنا في رحلات تركيا .. لما نشطت تجارتنا بالاستيراد من تركيا لتغطية أعمالنا السرية وسفراتنا الكثيرة عرفناه فهو تاجر ورجل أعمال مثلنا .. وله أفعال مثلنا من الحفلات والنوادي فصار صديقا لنا .. وأنا مرة أخرى وأخرى أطلب منكم ترك القضية .. حتى لو بحثتم أكثر وأكثر.. فهؤلاء الرؤساء والزعماء خارج البلاد.. فإذا كان القاتل أتى من تركيا أو أثينا فكيف تعرفونه ؟ وكيف تقبضون عليه؟ لا يعرف إلا إذا صاح هو نفسه معترفا أمام العالم " أنا قتلت الرجل أمام فندق عصفور" وهذا لا يحدث حتى لو قبض عليه البوليس المحلي والدولي .. وربما هي المرة الأولى والأخيرة التي رأى بها ضحيته هو مأجور.. صدقوا أني خائف عليكم .. فالذي يتورط مع هؤلاء الناس عليه أن يعيش فقط .. عليه أن يذوب .. يلتهي بالملاهي والنساء والخمر والسفر وينفذ الأوامر كالأرنب .

فقال حيدر : إنهم يسيطرون عليكم سيطرة تامة .

ـ لا رحمة لديهم فهم يبيعون السموم .. فكما يعطونك الأموال بسخاء فلهم قدرة على سلبها وتدميرك .. فهم يحرقون البيت على صاحبه .. وأحيانا نسمع عن صراعات بين الزعامات وهي صراعات شرسة مرعبة دامية .

فقال رباح : الشكر لك يا جبران على كل هذه المعلومات الخطيرة جدا ، وأرجو أن تتعاون معنا لإنقاذك من الرعب المتلبس بك .. والقضاء على كل أعوانهم وأيديهم هنا .. تعاون معنا .

ـ كيف أتعاون معكم ؟!

ابتسم رباح وقال : عندما يطلب منك تأمين سيارة أخبرنا بالأمر .. ونسق معنا للقبض على الذين يستلمون السيارة بعد أن تترك في المكان المعين .. وستبدو أمامهم أنك بريء .. فكما خدمت للشر وأخلصت له .. تعاون لإنقاذ الناس والشباب المندفع والمتحمس لتجربة المخدرات .. ننقذ الذين يتعاطون هذه السموم

قال العميد حيدر : اسمع يا جبران .. أنت أثبتت لنا أنك شجاع .. وعندك مرارة منهم وبعد مقتل ابن عمك يلزمك أن تتخلى عنهم كليا .

فتنهد جبران وقال : لي أكثر من عشرين سنة .. قل ربع قرن وأنا أعمل معهم .. وهل تعتقد أنني أنا وسنار كن نعمل معهم فقط ؟! لابد أن لهم أعوانا غيرنا يا سيدي .. ولا تعرف أي مجموعة غير نفسها .. نظامهم مثل شبكات التجسس .. فربما تتكون المجموعة من شخصين مثلي ومثل سنار .. وربما أكثر.. وأنا منذ مقتل ابن عمي لم أكلف بسرقة سيارة واحدة .. والعمليات الخارجية تركناها منذ حادث تركيا الذي تخبرونه .. ومرة مكثنا عامين بدون عملية في الداخل ولا في الخارج .. وهذه الرسالة التي قرأتها في بداية اللقاء تذهب إلى أنهم يريدون التخلص مني ، ولا غاية منها إلا أنني انتهيت .. أنا مستعد للتعاون معكم لأقصى حد بعد هذا الاعتراف وبعد هذه الرسالة .

قال رباح : سأضع بعض رجالنا حولك لحمايتك وسأرتب لهم كمينا .. أعترف أننا لا نستطيع محاربتهم في دولهم .. هذا يحتاج لجهد دولي وتعاون دولي مع منظمة الإنتربول الدولي .. ولكننا نستطيع حماية بلدنا من هذه السموم البيضاء .. وعليك أن تجاهد معنا وتبدأ حياة إيجابية .. صحيح أننا لا نستطيع إدانتك لأنه لم يثبت عليك سرقة سيارات أو إدخال مخدرات .. فأعتقد يا ابن عمي عليك أن تتعاون معنا من أجل دم ابن عمك فقد أصبح دمه هدر جزاء تورطه بهذه الأعمال المشينة وخيانة بلده وأهله .. وأنت أعطاك الله فرصة للتوبة والأوبة.

فأكد العميد حيدر كلام رباح فقال : معه حق المقدم رباح .. نحن قدر لنا أن نهتم

بالموضوع لوقاية البلد من الشر القاتل .. المخدرات تفتك بالشباب والناس ..
قال جبران : أنا هنا لا شيء عندي منها ..أنا لا أتعاطى المخدر .. قد تعاطيتها فترة في تركيا لم أدمن عليها بحق .. فأنا مدمن خمر .. مرضت من المخدرات فتركتها فورا .. ولما كررت التجربة عدت للمستشفى مرة أخرى .. وسنار لم يعشقها كذلك .. أكرر أنا مستعد للتعاون لأنني تعبت من المغامرات .. أحلم بالاستقرار .. وأرجو أن لا يكونوا قد علموا بهذا اللقاء .

ضحك الضابطان من خوف جبران وقال حيدر : لا تخشى شيئا.. العصابات تحب أن تهول عملها ومعرفتها بنشاط أفرادها.. الصدفة التي تخدمهم في كثير من الأحيان .. وثرثرة الأعضاء لكثرة شربهم للخمر وحالة السكر ..والآن من باب الفضول لا أكثر سمعتك تقول " إنك ستطلق زوجتك التي تزوجتها من شهر لماذا ؟!"

ضحك جبران ضحكة مقتضبة وقال : لا تصلح أن تكون امرأة بيت أو ربما أنا لا أصلح ! لسانها سليط بمعنى الكلمة .. تسكر بغير عقل .. لا تحترم الزوج .. كأنه ابن شارع .. تحب السهر مع الرجال دون معرفة سابقة بهم.. مجرد أن تلتقي برجل يبتسم لها حتى يصبح صديقا ؛ كأنها تعرفه قبل أن يولد ..

ـ وهل كانت تفعل ذلك مع سنار ؟

ـ تزعم أكثر من ذلك ؛ بأنه كان يسمح لها بالسفر والرحلات مع الرجال للخارج .

قال رباح : حقيقة يا سيادة العميد كانت علاقتنا بسنار علاقة ضعيفة ، لم يكن اجتماعيا معنا، كانت زيارته لبيت العائلة قصيرة بضع دقائق ، وزوجته كانت تناصبنا العداء بسبب عدم قبولها بيننا عند بداية الزواج .. وعملي الدائم لم يكن يسمح لي بفتح علاقات مفتوحة مع الأخوة .. على كل حال لا تتعجل في أمر الفراق والطلاق حتى ننتهي من هذه العصابة .

تجارة المخدرات

اجتمع رباح بمدير مكافحة المخدرات وشرح له موضوع جبران وعصابات المخدرات ، فقال العقيد موسى طبلة : فعلا نحن لا نستطيع إثبات جريمة المخدرات عليه ما لم يقبض عليه متلبسا أو يعترف بمحضر رسمي .. وما دام يعمل في نقلها في الخارج لا نستطيع القبض عليه إلا بطلب من الإنتربول البوليس الدولي أو دولة بيننا وبينهم اتفاقية تبادل المجرمين .. فالرجل نشاطه في الخارج .. وأما سرقة السيارات قد يعاقب عليها هنا .. ولكن ما دامت السيارة المسروقة لم تدمر.. فستكون عقوبتها بسيطة ربما إزعاج الأمن.. فالجريمة يجب أن تثبت على الجاني بالقبض عليه متلبسا أو معترفا بها بكامل قواه العقلية لكن من استجواب الشخص وبناء على الاستجواب تقدم الأوراق للمدعي العام .. وقاضي التحقيق المدني .. لو طلبت السلطات التركية القبض عليه لاعترافات فربما يجري التحقيق معه .. فالسرقة يجب أن تثبت بالتلبس بالجريمة .. أحكام سرقة السيارات أحكام مخففة إلا في بعض الدول .

ـ ابن عمي لا يعرف الذين يهربون المخدرات .. هو يقدم لهم دعما بسرقة السيارة التي ستنفذ بها العملية يا سيدي.. يسرق لهم السيارة حسب الطريقة التي شرحتها لك.. وهو لا يدري ماذا يفعل بالسيارة ؟ والذين ينفذون العملية لا يعرفون من قدم لهم السيارة حتى لو قبضنا عليهم فهم لا يعرفون السارق الحقيقي سيتهمون بسرقة السيارة واستخدامها في التهريب .. فجبران قاس على ما يفعلونه في أوروبا ونشاطهم في تلك الدول .. هو له معارف ببعض رجال العصابة المنظمة في تركيا.. يجلس معهم يتعامل معهم .. ويقضي جل وقته في الحانات والخمارات .. وهؤلاء أعضاء في منظمة كبيرة .. من يديرها ؟ من يخطط لهم؟ لا يعرفون .. وأكيد هؤلاء أناس عريقون في الإجرام .. وأصحاب عقول كبيرة في الإجرام ما دام يخططون على مستوى دول .. فالعضو الناقل ولو قضى مليون سنة معهم لا يعرف أسرارهم .

قال العقيد موسى: هو لو حاول أن يعرف لسحق منذ زمن .. وأولئك يعرفون كيف ينتقون أعضاء الجمعية ؟ .. لو قبض على أحدهم وكثيرا ما يمسكون فلا تجد لديهم معلومات مهمة .. ولما يدخل الممسوك السجن لا أحد يهتم به .. لا العصابة ولا الشرطة لأنهم يعرفون أنه لا يعرف شيئا مهما يوقع الرؤوس الكبيرة .. الكبار يقعون يا سيدي المقدم بصراع وتنازع بينهم على الزعامة الكبرى أو على مناطق النفوذ مثل الحيوانات المفترسة.. أو بأخطاء قاتلة أو وشاية من زعيم آخر يريد الانتهاء منهم .. وأما السجين الذي عمل معهم فبعد خروجه إما يقتلونه أو يهملونه كثوب بال .. فهو معروف ومكشوف للبوليس لا فائدة منه أصبح ورقة محروقة كما يقولون .. ونحن سنحاول الاستفادة من قريبك للوصول لأعضاء الشبكة هنا .. والمخدرات تدخل البلد من أكثر من عصابة أو مجموعة.. والعصابات تبحث عن أسواق في كل البلدان .. وتروج بتنافس كبير بين تلك العصابات .. والشباب الفارغ يقبل عليها بغير وعي وإدراك لمخاطرها .. كيف وبس .. والقبض على المروجين والتجار قائم على قدم وساق.. لكن الرؤوس الكبيرة لم ننل منها يوما ما .. لأن أكثرها خارج القطر.. لا يخلو أسبوع من القبض على مجموعة ومجموعات ، وأكثر المقبوض عليهم من المغلفين .. منذ استلمت الدائرة قبل ثلاث سنوات لم أقبض على رأس كبير محلي .. رغم بأس رجالنا .. يذهب الشاب في نزهة خارج البلاد يعود محشوا بالمخدرات .. يذهب للدراسة للخارج يعود محشوا بالمخدرات ومتعاطيا .. سائق شاحنة يخرج مرتين ثلاث في الرابعة يعود محملا بهذه السموم .. وبعضهم يحملها دون علمه إلا بأنها بضاعة خاصة عليه توصيلها لشخص مقابل عشرة دنانير خمسين دينار .. فيحس أنها شيء تافه .. ولمن ستوصلها ؟ يقول شخص سيتصل به على شركته أو بيته إذا ترك هاتف البيت لديهم .. فعندما يتصلون به في البيت تبدأ إجراءات استلام البضاعة المجهولة بعد أن تأكدوا من فلتانه من الجمرك والمكافحة .. ويأخذون بإجراءات الاطمئنان حتى لا يكون متواطئا مع الشرطة .. وسيستدرجونه

بالكلام والمواعيد للاطمئنان قبل استلام البضاعة والحاجة .. أحيانا ننتظر شهرا ، ومرات سنينا ، ولا يحضر أحد لأخذها فتكون النتيجة إما الرجل كاذب، وإما صادق ، ونسي العملاء تلك الكمية المصادرة لسلامتهم ، فيسجن الرجل بتهمة إدخال المخدرات .. وأحيانا تكتشف أن رجال الحدود يعملون أو يعمل بعضهم معهم .. المال الكثير مغر للقلوب الضعيفة ، وهؤلاء يدفعون بسخاء تعجب له .. علينا أن نقوم بواجبنا قدر الإمكان والاستطاعة .. وما دام السيد جبران يجهل هذه العصابات لا نستفيد منه .. ولكن إذا كلف بسرقة سيارة فليكن تحت إشرافنا ونظرنا .

ـ هذا حدثته عنه .. وذكر أنه منذ مقتل سنار لم يكلف بشيء من قبلهم .. ولكنه ذكر أنهم ربما يهملونه لفترة .. فقد قضى عامين بدون مهمة داخلية ولا خارجية .. وأنا متأكد أننا لن نصل لقاتل أخي الحقيقي العقل المدبر ، قد نقبض على اليد التي نفذت الجريمة إذا كان من سكان المدينة .

ـ أنا مستعد لكل تعاون أيها الزميل العزيز .. فكلنا في خدمة الشعب والعدالة والمجتمع ، وكلنا نقوم بواجبنا بأقصى طاقة ..لا تهاون في محاربة الجريمة مهما تغيرت أشكالها وصورها.. نحارب تاجر المخدرات .. التاجر الكبير والتاجر الصغير .. نحارب المروجين سواء مقابل المخدرات أم مقابل عمولة .. ونحارب النقلة لها ونطاردهم ونقدمهم للعدالة .. الإجرام في سوق المخدرات معقد ومنتشر لأنها تجارة .. فدول تتاجر بالمخدرات .. دول معترف بها في الأمم المتحدة تبيع المخدرات وتشجع على زراعتها .. لأنهم يزعمون أنهم يزرعونها لأغراض طبية وصناعات دوائية ، فيذهب بعضها للطب والبعض الآخر لتجارة المخدرات .. وبعض السياسيين يصلون لمناصب عليا بأموال المخدرات والتهريب .. نحن قانوننا يجرم التجارة فيها.. فالبائع يعاقب والمشتري يعاقب.. فعلينا حماية بلدنا.

ـ هذا لا شك فيه يا سيادة العقيد .. قضية المخدرات قضية معقدة ومتشعبة .. فأوضاع

الناس المالية والفقر تشجع الكثير منهم للتعاون مع هذه العصابات .. الثراء السريع .. التغول في الشهوات والملذات.. فيقبلون بالتهريب لها والترويج لها وحتى التعاطي لها .. أشكرك يا سيدي على رغبتك في التعاون معي .. سأفكر بهذه القضية بشكل واسع .. وكما قلت وقال غيرك الوصول لشخص أو اثنين لا ينهي القضية ، وما هو بحل جذري نحن نتعاون مع دول العالم ؛ ولكننا نحتاج لتعاون حقيقي صادق.. فأمريكا نفسها عاجزة عن القضاء على عصابات المخدرات والإجرام ، ولديها التكنولوجيا والقوة .. فلنحمِ بلدنا ونشكر ربنا .. والتوعية خير سلاح لحماية الشباب وإنقاذهم من التورط في مشكلات المخدرات .. لكن حسب الإحصائيات التي أطلع عليها زادت نسبتهم .

ـ الشباب يحبون التجربة للأسف .. لا يتعظ السوي بالمدمن، يحب أن يجرب فيقع.. قد يصبح لصا لتأمين ثمنها.. يسرق أمه أباه جاره .. بعضهم قتل للحصول على المال ليشتري به المخدر اللعين .. وللأسف أنها تروج في الجامعات والمعاهد عند رجال الدولة في المستقبل .. الاستهتار في الصحة عجيب لدى بعض الشباب من الجنسين .. الضمير يضعف .. الدين يضعف .. الأخلاق تضعف .. وسائل الإغراء كثيرة ومتنوعة .. كلما بعد الناس عن الدين والأخلاق أصبح صيدهم وتوريطهم أسهل.. الكثير منهم يرى أن أسرع وسيلة لتصير مليونا كما يروج تجارة المخدرات .. صفقات المخدرات .. أحلام كبيرة وعقول صغيرة .. الأخلاق الفاضلة هي التي تقلل الجريمة وهذه التجارات .. التقليد الأعمى عدو للشباب .. الأفلام الرديئة تنشر الأحلام المريضة والخيالية ، دمر الناس لتصير مليونيرا ، أفلام تشجع على المخدرات .



مفاجأة

جاءت رسالة لجبران وكان مضمونها " فندق سبأ يوم الأحد ١٤ آب الساعة العاشرة ليلا القاعة الماسية "

هذه أول مرة تأتيه رسالة فيها طلب إلى لقاء شخص داخل البلد .. كانت العادة أن يطلب منهم سرقة سيارة ، ووضعها في مكان معين في تاريخ معين.. وينتهي العمل عند هذا الحد .. ولكنه بعد أن تحدث مع رباح في الموضوع قال معللا ذلك : يظهر أنهم وجدوا لي شريكا للتعاون معي في سرقة السيارات.. وهذا الفندق أول مرة يطلب مني الذهاب إليه .

ـ نحن سنكون معك في الفندق .. وإذا أحسسنا بخطر عليك سنتصرف .. اطمئن يا جبران ورجالنا حولك .. نحن بشوق لاصطياد بعض هذه العصابة المعقدة التنظيم .. فكأنهم لما أدركوا عدم اكتراثنا باتهامهم .. بقتلك لسنار اعتقدوا أننا أهملنا القضية .. هل ترى خطرا عليك بالاغتيال؟

ضحك جبران للسؤال وأجاب: الخوف منهم متواصل يا سيدي .. الإنسان لما يشتغل مع أشباح سيبقى الخوف ملازمه ، ولكن الخمر تذهب هذا الخوف .. وسأذهب إلى الموعد ، وأتعرف على شريكي الجديد البديل .. وأنا كما وعدتكم سأتعاون معكم لأقصى درجة .

قبل الموعد المبين في الرسالة القادمة من تركيا لجبران بحوالي ثلاث ساعات ، وبينما هو يجلس في مكتبه في إحدى الشركات جاءه تلفون ، ولما تأكد للمتصل أن الصوت لجبران قال "اذهب إلى فندق الزهرة في مدينة (بلون) نفس الوقت" وانقطع الاتصال .

اكفهر وجه جبران ووضع السماعة مذهولا وبتخاذل وحيرة ، ولاحظ أن الموظفين ينظرون إليه بقلق فتمالك نفسه وقال : تلفون مزعج .. يبدو أن النمرة غلط .

وبعد نصف ساعة غادر المكتب قائلا : إني ذاهب يا أحمد للبيت .

وكان يقول لنفسه " هل عرفوا أن الشرطة على علم أم احتياطات أمنية ؟ .. إنه مجرد

تعارف .. شخص بدل لسنار .

وقفت السيارة أمام عمارة ممتلئة بالمكاتب التجارية ، ومن إحدى المكاتب اتصل برباح ، وأعلمه بالتطور الجديد ، وبعد دقائق ترك المكتب بعد أن شكر صاحبه معلما له أنه اتصل بمكتبه ، دخل البيت وغير ملابسه، وأخبر ريما بأنه قد يتأخر الليلة، فاستأذنته بالذهاب لبيت والدتها للمبيت عندها فأذن لها وقال : لو تقضين أسبوعا آخر عندها .

فردت عليه ساخرة : أنا أعرف كرهك لي ، وأنك نادم للزواج مني ، ولماذا لا تطلقني وتخلص مني ؟!

ـ سوف أفعل.. أنت تظنين أنني تزوجتك من أجل المال الذي ورثتيه عن سنار .. لا أعتقد أنك آخر أنثى في حياة جبران ..

ضحكت ضحكة ساخرة وقالت باستهزاء : أنا طبعا موقن من ذلك .. ولليوم أفكر لماذا قبلتك زوجا ؟!

ـ أبوك الذي أقنعك بي.. كما أقنعني بك .. تظاهر بخوفه وشفقته على ابن سنار .. أبوك مجرم في حقنا .

فصاحت في وجهه: أنت المجرم .. أبي أشرف منك .

ـ آ .. فعلا أبوك شريف .. على كل مع السلامة يا بنت الشريف .

ـ على كل حال سأخبرك بشيء أغيظك به .. ربما أطلقك أنا هذه المرة .

قهقهة جبران وقال : أنت ؟! وتتنازلين عن الخمسين ألف المؤخر !

ـ اضحك صرخ .. أنا أعرف أن هذه المبلغ المؤخر هو الذي أخر طلاقي .. قد نتفق على هذه القضية ، وأعمل لك تخفيضا وخصما .

ـ أفكار عجيبة ، أنا كنت سكرانا لما وافقت على هذا المؤخر .. سخر أبوك مني .. غدا تستفيد من الربع مليون التي ورثتها عن سنار .. كنت أحمق .

ـ كنت طماعا جشعا حقيرا.

ـ طماع ! أكيد أنا طماع .. آ .. كيف ستطلقينني يا كيلو بترا ؟

ـ هناك زوج خير منك .

ـ زوج !! عجيب أمر النساء !

ـ ألست تحقد عليّ وتكرهني وتكره الأرض التي أمشي عليها ؟.. وتقضي لياليك مع بنات الهوى والملاهي .. فأنا أكرهك وسأطلقك .

فقال باسما وغير مصدق : سأحتفل احتفالا كبيرا يوم طلاقنا، وسأدعوك لهذه الحفلة .. على كل أنا مستعجل في مشواري فيما بعد سنعرف هذا العشيق .

صرخت بغضب : العشيق !! وهل تظن لو أن لي عشيقا سأخاف منك يا عجوز .. مع السلامة اغرب عن وجهي .. ستجدني مع أمي ارتب أمر الطلاق يا شريف يا عفيف !

انطلق جبران بالسيارة نحو فندق الزهرة في المدينة المذكورة في هاتف العصابة .. وما زال الحوار الذي دار بينه وبين زوجته يتردد في جوانحه ووصولها إلى زوج وهي على ذمته ، وكان في قرارة نفسه يود ذلك ؛ لكنّ المؤجل الذي وافق عليه عند الزواج هو الذي يؤخره.. وهو قادر على دفعه ، وإنما يرى أنها لا تستحقه ، ولا تستحق فلسا منه .. وظلت الأفكار حول الانفصال تراوده حتى وصل فندق الزهرة .. فسأل عن القاعة الماسية.. وصعد إليها عن طريق المصعد ، وجلس على مائدة يراقب الجالسين ، وقبل الوقت المحدد للقاء رأى والد زوجته أميرا يتقدم نحوه .. فانزعج لظهوره في هذا الوقت ، ودهش أيضا لوجوده وخشي من فشل اللقاء.. فتصافح الرجلان وعادا للجلوس، فقال جبران بقلق ظاهر عليه: ما الذي أتى بك وإلى هنا الليلة ؟! فقد أرسلت البنت إليكم هذا المساء .

ـ طلقتها ؟!

ـ لا ، هي التي تريد تطليقي .. وجدت زوجا خيرا مني .

ـ ماذا تقول ؟!

ـ هذا ما سمعته قبل مجيء إلى هنا .. لم تجب عن سؤالي .. ما الذي رماك هنا الليلة ؟!

تبسم أمير وقال : الذي أتى بك .

صعق جبران وقال بصيحة منخفضة : أنت معهم !!

ـ ما لك دهشت ؟.. أتجهل أني معكم ؟! .. ألم يخبرك سنار بأني معكم ؟

وضع جبران يده على فكه وحملق بأمير وقال : سنار! .. أقسم لك أني لا أعرف .. أعرف أنك رجل أعمال وتاجر كبير يستورد من تركيا وأوروبا .. وهل أنت الرجل الذي أرسلوني للتعرف عليه ؟ .. هذا أنا مغفل !

ـ نعم ، أنا جاءني أمر بالتعرف عليك واللقاء بك هنا.. وأنا أعلم أنك عضو في تلك الجمعية .. وأنا حقيقة استغربت لما طلب مني ذلك .. يبدو أن سنارا هو من نفسه أخبرني أنك عضو في جمعيتنا السرية .. كنت أظنه أخبرك بأمري .. كما أخبرني بعضويتك .

صفن جبران للحظات ثم قال : منذ متى وأنت معهم ؟

ـ منذ تعرفت على سنار.

ـ لك زمن طويل معهم .

ـ بعد تعرفي على المهندس سنار ومرافقته في عدة رحلات عرض عليّ العمل بالتهريب .. فقبلت ، فالمال كثير.. ونحن تجار ابتداء .. ووفقنا في العمل معهم.

قال جبران: تلقيت رسالة لألتقي بك وأنا طبعا لا أعرف أنك الرجل المطلوب التعرف عليه .. في فندق سبأ ، وقبل ساعات جاءني اتصال للالتقاء بك هنا .

ـ لأقوم معك بسرقة السيارات .. فقد شاركت سنارا بعض العمليات ، أنا كنت أظن أنك تعرف أنني أعمل معكم .. ويبدو لي أنهم لا يعرفون أننا نعرف بعضنا البعض .. اتصلوا بي للذهاب إلى هذا الفندق واللقاء بك الساعة العاشرة ليلا .. حسب الإشارات الخاصة ..

ـ أنا مذهول أيها السيد .. هل ترى أن سنارا تعاون مع غيرنا ؟

ـ ما دام أنك شريكه القديم ولم يكشف لك أمري .. فربما له رجال آخرون يعملون معه .

ـ مفاجأة كبيرة بالنسبة لي !..ابنتك تعرف شيئا ؟

ـ لا ، لا تعرف عملي بهذه المنظمة السرية .. ولا زوجتي .

ـ هل من مهمة غير التعرف ؟

ـ نعم ، طلبوا تأمين سيارة مسروقة .

وأخرج ورقة مرسوما عليها عنوانا قربها لجبران ، فلما أطلع عليها جبران أسرع أمير بتمزيقها ، وقال جبران : لم يبق لتسليمها سوى أيام ثلاثة .. أعندك مفاتيح جاهزة ؟

ـ طبعا يا سيدي .. اشتغلت مع سنار .. عدة مرات .

ـ أتعرف شيئا عن مقتل سنار ؟

ـ لا ، صدق هذا .. فوجئت مثلك ؛ ولكنه حدثني عن الخطر المحدق به .. وكان يتوقع أن يقتل .

ـ هل تعلم أن البوليس يشك بي وأنني أنا القاتل ؟ .. وحدثه عن رسالة العصابة وشك ابن عمه الضابط في الشرطة به .

فقال أمير : وهل أنت قاتل لسنار ؟

ـ طبعا لا ، ولا لريما يد حسب معرفتي .. وهل كنت أعشقها وهي زوجة لسنار ؟ .. هذا كذب .. وأنت الذي رغبني بالزواج منها .. من أجل ابن سنار .. أن أكون له أبا .. أنا اليوم مثل سنار قبل أن يقتل .. الوضع خطير ..

ـ ومزعج .. أنت فعلا تفاجأت من لقائي بك .

ـ كان سنار كتوما معي نحوك .. لم أتصور أنك عضو معهم ..

ـ هم يعرفون أنك لا تعرف أني في المنظمة.. لذلك رتبوا لنا هذا اللقاء .. لما تعرفت على ابن عمك من خلال التجارة والفنادق .. عرفني سنار على رجل منهم في تركيا .. وبعد حين ضمني الرجل للمنظمة .. فهمت أن ذلك كان عن توصية من سنار .. ولما تعمقت

العلاقة الخاصة بيني وبين سنار.. وعلم أن لي بنتا طلبها للزواج لتقوية أواصر العلاقة بيننا .. ثم عرفني عن نشاطه في تأمين سيارات لتهريب ونقل المخدرات في البلد .. وأخذت في مشاركته في تلك العمليات .. مقابل الدولارات في كل سرقة سيارة .. مع أن المبلغ تستطيع العصابة شراء سيارة به .

ـ السرقة أسلم لهم .. السيارة تحتاج لتسجيل أو نقل ملكية يا فهيم .. وأنا جاهز للتعاون والعمل معك يا سيد أمير .. ماذا في هذه القاعة الليلة من سهرات ؟

ـ بعد نصف الليل ستكون حفلة غنائية لمدة ساعتين للمطرب جاجو.. من جاجو ؟ لست أدري .

ـ جيد ! هل ننزل للمطعم لنأكل ونشرب قبل بداية السهرة ؟

ـ مسموح أن تأكل هنا.. ، ولكني حجزت مائدة شهية أسفل هيا أبا نسب .

النهاية

تفاجأ رباح بما سمع من جبران وقال : زوجتك كانت في البيت عندما كشفت أمرك لنا ؟

ـ من حسن الحظ أنها كانت في بيت أمها.. أمها لها فترة مريضة تشفى وتمرض .. فمنذ عدنا من شهر العسل وهي تقضي نهارها عند أمها .. والخادمة في البيت أجنبية لا تفهم من العربية إلا القليل .. أنا لما عرفت أن أميرا هو الرجل الآخر وقع قلبي تحت رجلي من الرعب .. هي عينه عليّ حقيقة .. وربما كانت على سنار كذلك .. هو زعم لي أن سنارا هو الذي رغب بها زوجة .. بدأ لي اليوم سنار غامضا جدا .. ولكن لو سمعت شيئا لاستفادت منه .. أنا كما اتفقت معكم سأنفذ السرقة كما هو معتاد ..

ـ ستذهبان للمكان المعطى لكم .. ونحن بعد نقلها للمكان المطلوب سنضع عليها جهاز تعقب صغير .. أمير هو الذي سيقوم بعملية السرقة ، وأنت ستلحق به لتعود به لبيته .. أنت لا تعرف السيارة المسروقة الآن .

ـ هو الذي قلد المفاتيح ، وهو الذي سيسرقها ، وأنا سأقوده للمكان وأغطي عليه .. أنا لا أعرف سيارة من سيسرق ؟ .. أنا فقط أعرف مكان ترك السيارة .. قرب فندق سبأ من الجهة الخلفية .. فعليكم تركيب الجهاز بسرعة خشية أن يكون رجال العصابة قريبين منكم ..

ـ الجهاز سريع التركيب هو مغناطيس شديد القوة .. يوضع بمكان خفي .. ونحن سنراقب السيارة أيضا .. بعد الحادية عشرة ليلا تحرك جبران بسيارته لبيت أمير حيث خرج إليه ، وجلس على مقعد القيادة، وتحول جبران للمقعد المجاور.. وتمشيا في السيارة في شوارع المدينة .. وملأ الرجل السيارة بالبنزين .. ثم انطلق بها إلى المكان الذي سيسرق السيارة منه .. ونزل الرجلان وفتح جبران غطاء الماتور ، وتظاهر بعلاج عطل طارئ .. واقترب أمير من السيارة التي تقف أمامه ، وشغلها وانطلق بها ، كانت العملية سهلة وسريعة ، وتبعه جبران حتى وصلا لفندق سبأ من الجهة الخلفية ، وقرب مجموعة من

الأشجار صف أمير السيارة الصالون ، ووضع المفتاح تحت العجلة الخلفية ، وركب بجوار جبران الذي ابتعد به نحو بيته .. وانصرف جبران إلى حانة يروي غليله من المسكر.

أما رباح فلما ابتعد جبران بسيارته ، تقدمت بضع سيارات إلى المنطقة الخلفية من الفندق وساق أحدهم السيارة المسروقة ، وتركوا سيارة خاصة بهم على نفس الوضعية، وقد وضع عليها جهاز تعقب ومتابعة .. وأعادوا السيارة المسروقة إلى البيت الذي سرقت منه.. فكما تعلمون أن رجال البحث الجنائي يراقبون السيد جبران ، فقد عرفوا الموقع من مراقبتهم له .

جاء أفراد العصابة المحلية عند الفجر، وأخذوا السيارة التي يعرفون أنها مسروقة ، وساقوها إلى عمارة خاصة ، ومكثت السيارة داخل العمارة حتى الليل .. وما زالت السيارة تحت مراقبة الشرطة.. وكذلك العمارة.. خرجت السيارة من العمارة ليلا ، وعلى أحد الطرق السريعة أوقفها رجال الشرطة على أنه تفتيش عارض ومفاجئ .. وطلبوا رخصة السائق ورخصة السيارة قال الضابط وهو يمسك برخصة السائق : هل هذه السيارة لكم ؟

رد السائق : إنها لأحد الأصدقاء .

ـ هذه سيارة مسروقة قد عمم علينا رقمها .

وفتح الضابط أمامهم جهاز الاتصال ليسمعوا الكلام فسمعوا " تحفظ عليها وعلى من فيها " .. وقال الضابط " سيأتي صاحبها الآن "

ولم يكد الضابط يتم جملته حتى فتح أحد الرجال المقعد وخرج مشهرا مسدسا وقبل أن يستعمله كان قد طار من يده .. ومطروحا على الأرض ..وأحاطت سيارات الشرطة بالسيارة ، والقيء القبض على الجميع .

وفي الصباح كان الضابط يتهمهم بسرقة السيارة ونقل مخدرات فيها ، وأقر الرجال الثلاثة

بنقلهم للمخدرات ، وقد اقتحم رجال الشرطة العمارة التي أخفيت فيها السيارة ، ووجدوا كمية أخرى من المخدرات وبعض رجال العصابة .

ونشرت الصحف في اليوم التالي خبر القبض على عصابة مخدرات وبعض التفاصيل التي سمحت بها الشرطة .

أخبر جبران رباحا أن رسالة من تركيا طلبت منه السفر إليهم بأسرع وقت ، فطلب رباح منه ألا يسافر ليدفعهم للمجيء للبلد .. وتحدث معه أمير أن الرجال يطلبونه في تركيا.. فتعذر له بالمرض وعدم رغبته بالسفر.. وقد يعمل عملية قلب مفتوح لقلبه .. فطلبوا منه السفر لقبرص ، فبين لهم أن قلبه لا يحتمل السفر .. ثم أخبره أمير أنهم يريدون سرقة سيارة قبل العملية فوافق مضطرا .. ونفذ مع أمير سرقة سيارة .. والشرطة فعلت بها كما فعلت في المرة السابقة استبدلوها من غير علم جبران.. وقد اختفت السيارة عدة أيام هذه المرة .. وحدث رباح جبران أن السيارة مختفية فربما يقصدون اغتياله كما فعلوا مع سنار .. فالسيارة لم تشحن بالمخدرات ..

اتصل أحدهم بجبران ، وطلب منه اللقاء به في منتزه ( الوردة البيضاء ) ، أخبر رباح بالاتصال واللقاء .

ذهب جبران للمكان وعند الأشجار العالية في المنتزه أقبل رجل وعرف نفسه أنه من المنظمة من الفرع التركي ، وهدده بالموت إن لم يسافر لتركيا أو قبرص قبل العملية القلبية وكان جبران يتظاهر أمامه بالاعتلال والألم .. فأصر جبران على عمل العملية قبل السفر ، فلما رآه الرجل مصرا : دع سيارتك هنا واذهب معي لمقابلة .

وصلا لسيارة رجل العصابة ، وركب معه جبران ، وهو يدرك أن حياته في خطر .. ولكن النهار شجعه على الركوب والمغامرة .. ودخلا منطقة صحراوية .. وفي منتصف الطريق كانت هناك سيارة يقف أمامها أربعة أشخاص وهي السيارة المتصلة بجهاز الشرطة.. ولما وصلوا إليها أوقف الرجل التركي السيارة بجوارها وقال لهم بحدة " إن جبران

يرفض السفر لتركيا أو قبرص ومصر على عمل العملية الجراحية لقلبه المريض .

وجرى حوار بينه وبين أحد الأشخاص الأربعة حول السفر ، وأعاد جبران اعتذاره عن السفر لصحته الضعيفة .. ولما انتهى الحوار أخرج الرجل مسدسا وصوبه لجهة جبران وقال : أخ جبران معي أوامر بقتلك ، وترك جثتك في هذه السيارة المسروقة .. فالأفضل لك أن تسافر قبل العملية .. قد لا تحتاج لهذه العملية .

فقال لهم بهدوء : اعلموا أن هذه السيارة ليست السيارة المسروقة .. وأكمل جبران : يبدو أنها سيارة شرطة .

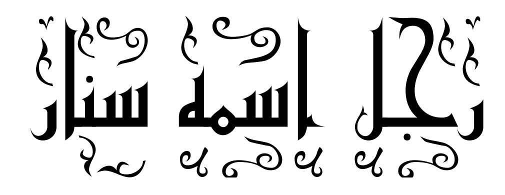
وحاصرت المكان بسرعة سيارات النجدة والشرطة . أمروا برفع أيديهم للأعلى، وإلقاء المسدس على الأرض فقال أحدهم لجبران : هذه خيانة !

ـ لا ، بل ندم .

تقدم رباح معانقا لابن عمه وقال : أنت شجاع يا ابن العم !.. وانتهى دورك اليوم .. وستبدأ حياة جديدة بإذن الله .

كانت ضربة كبيرة للعصابة ، وكان من بينهم القتلة الذين قتلوا سنار حمدي ، وطلق جبران ريما أمير، ومنح جواز سفر جديد بصورة أخرى واسم جديد ليختفي عن المسرح بضع سنوات ، وانتقل للحياة في بلاد بعيدة لا يعلمها بعد الله إلا رباح حمدي .. قل منفى اختياري أو اضطراري .

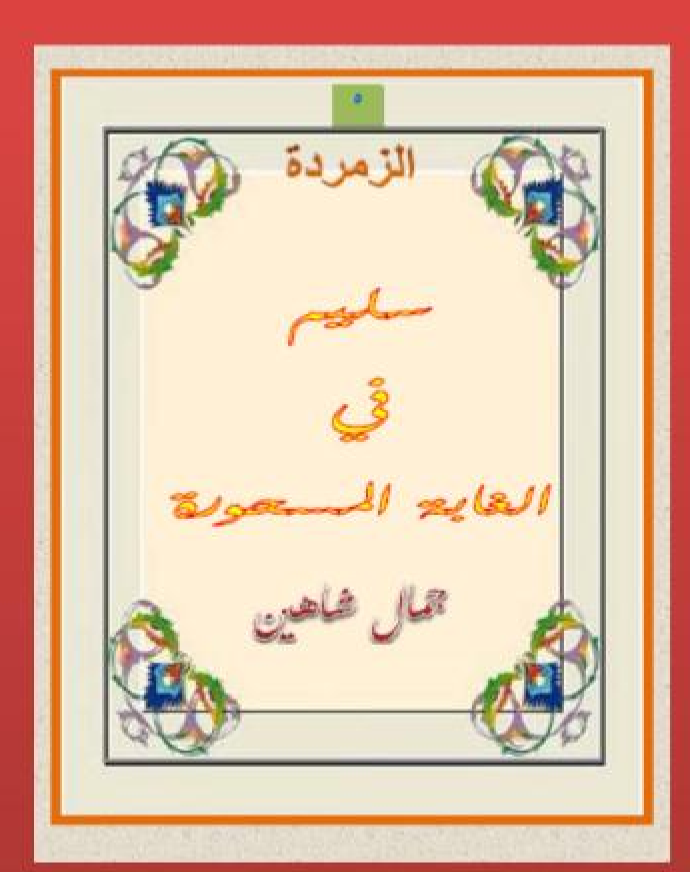
تمت قصة



# زهرات نبوية

جمال شاهين




الزمردة
سليم
في
الغابة المسحورة
جمال شاهين


جمال شاهين
استاذ
الفرنساوية
المكتبة الخاصة

**رواية**







بقلم

جمال شاهين

المكتبة الخاصة



٨

# عقيل والصياد

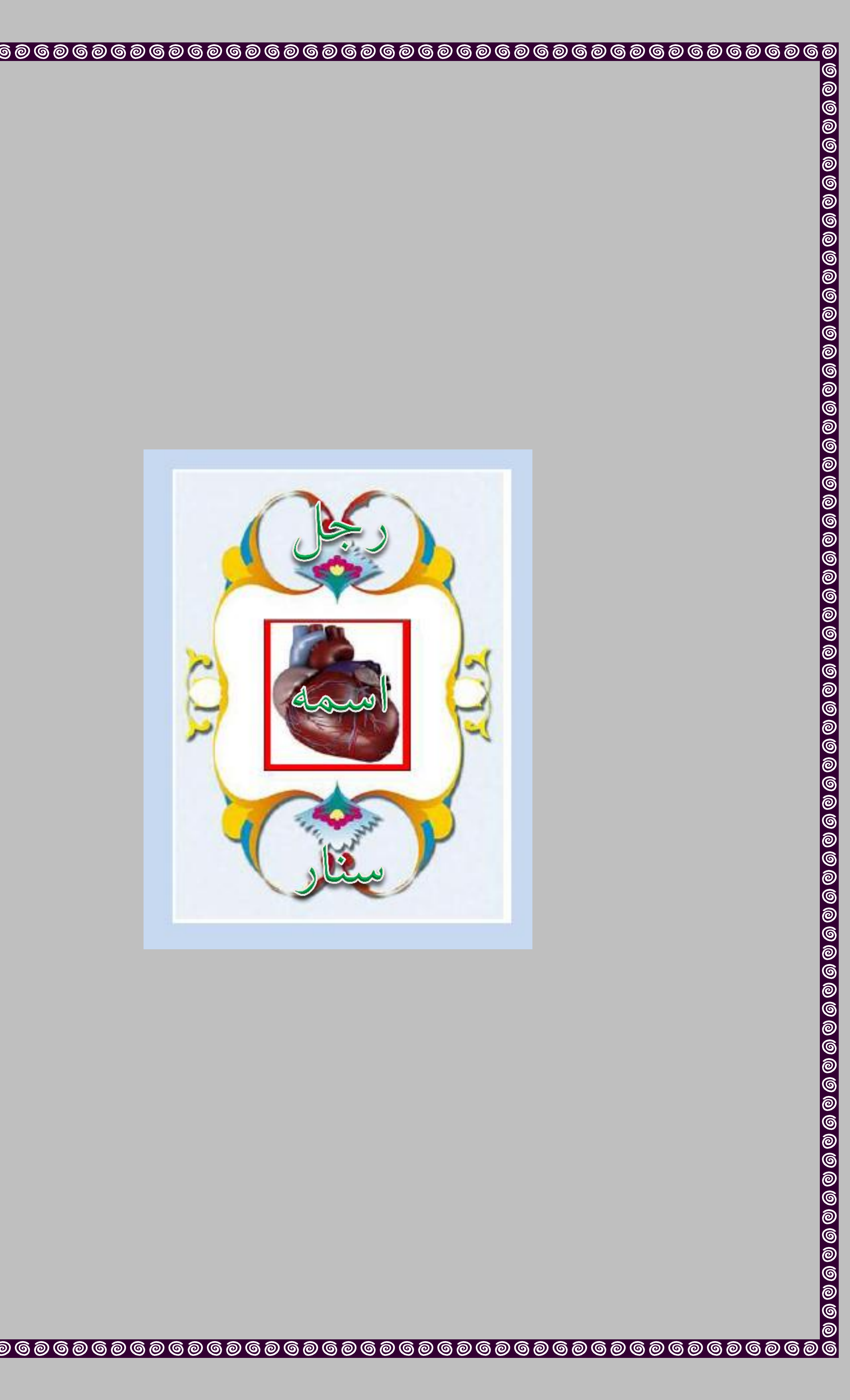



حكاية
ريح البحر

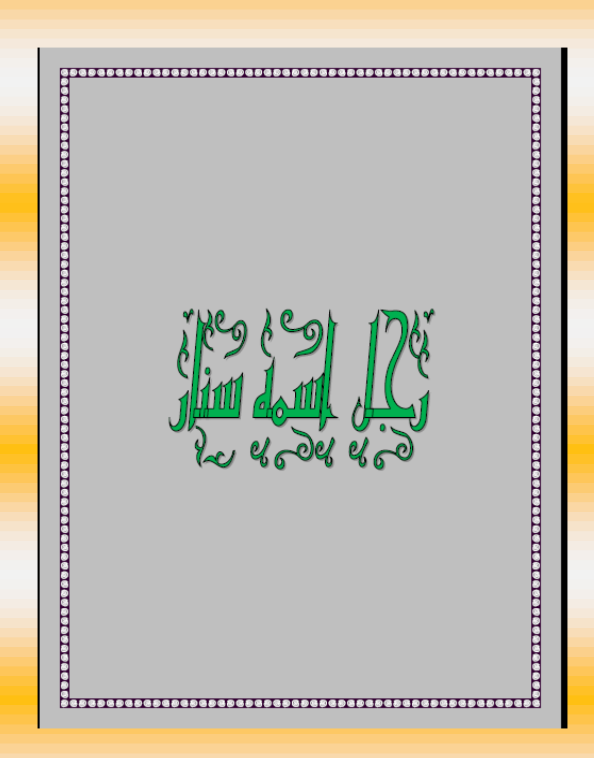


# رمان


زهرات نبوية
جمال شاهين
حق المسلم
حسن الخلق
ازدراء النعم
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كربة
الزهد
المعروف


رجل
اسمه
سنار






# رجل اسمه




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١